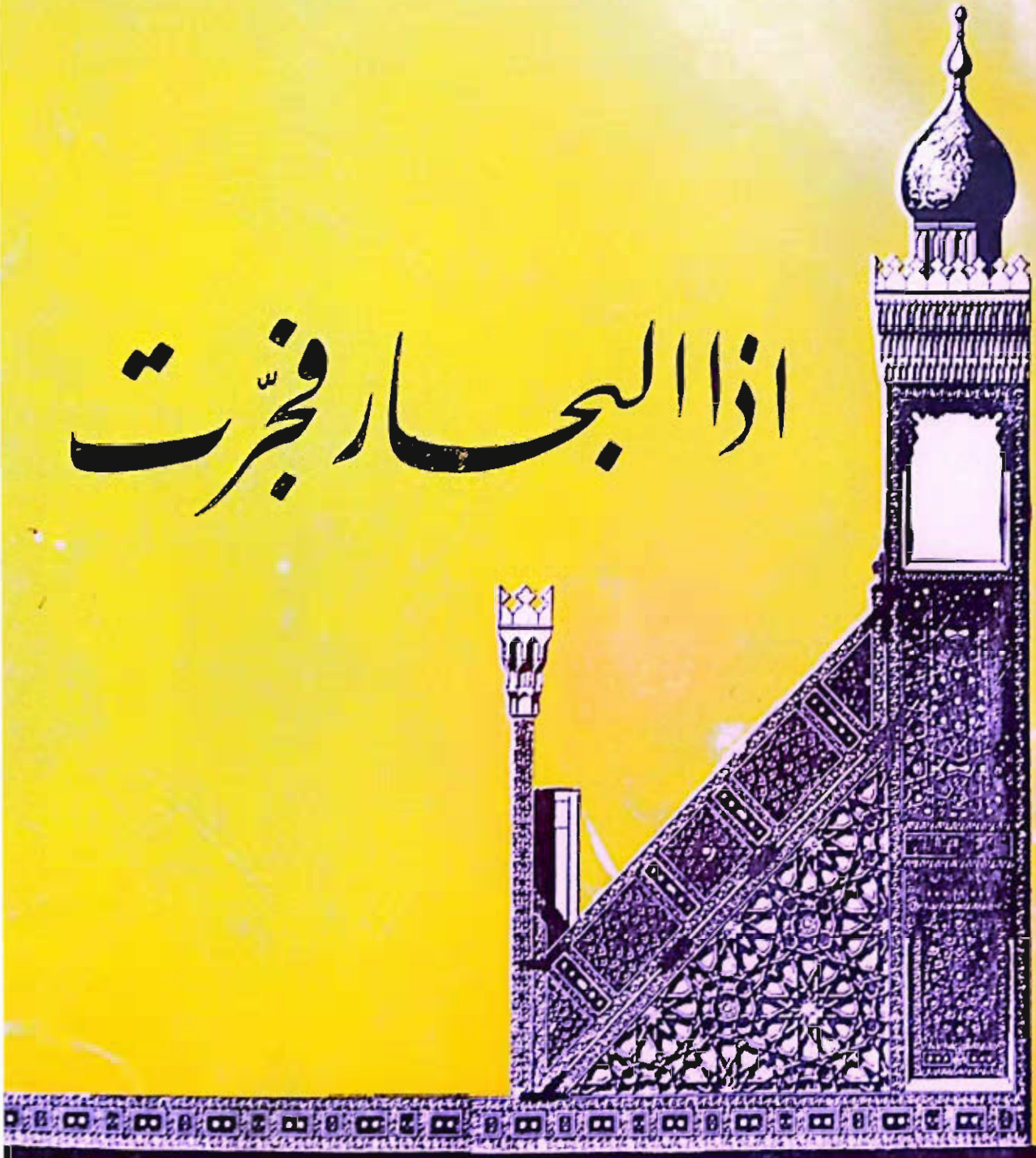


محمود شلبي

إذا البحر فخرت



من منشورات المكتبة العصرية،
طيدا - بيروت

إذا البحار فجرت

محمود شلبي

إذا البجار فخرت

منشورات المكتبة العصرية
طيدا - بيروت

الاهداء

اللهم . . . منك . . . وإليك

محمود شلبي

الطبعة الأولى

١٩٨١

مقدمة

أحمد الله الذي لا إله إلا هو ...
وأشهد أن محمداً ... عبده ورسوله ...
وأصلي ... وأسلم عليه ... صلاة وسلاماً ...
لا يتناهيان ...
وبعد ...
كلام الله ... بحار ... لا تتناهى أمواجها ...
ولا تنفذ عجائبها ...
كلما فتح الله ... لك فهما ... فيها ...
وظننت أن هذا أقصى الفهم ... تبين لك أن ما فهمته
كان أدنى الفهم ...
وأن الأمر وراء ما ظننت ...

ولا يزال ... ذَلِكَ الْكِتَابُ ... عَلِيًّا ... إلى ما
شاء الله ...

يعلو... على الأفهام ... مهما تقدمت
البشرية ... ومهما تطورت ...

وهذه قطرات ماثوثة ... في هذا الكتيب ...
ما مَنْ به الله ...

عسى أن يتقبلها ربنا تبارك وتعالى ...

وأن يجعلها إشارة ... إلى شيء من العجائب
المكنونة ... في كلام الله .

القاهرة في ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م

سر .. الفاء .. ؟!

شعَّت ... أسرع من البرق الخاطف ...
وكادت تذهب ... لولا أن سارعت إلى
تسجيلها ...

تلكم هي الفاء ... « ف » !!؟
حرف واحد ... من كتاب ربي ... فيه مفتاح
عجيب !!!

وقد تابعته ... ولاحقته ... في مواضع شتى من
الكتاب ... فتأكد الأمر لي ... فرأيت أن أبته ...
عسى أن ينفع الناس !!!

أول ما شعَّ هذا الأمر ... شعَّ من قوله سبحانه .

﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ﴾ !!!

ف؟؟؟!

ما هذه الفاء وما سرها؟؟!

إنها فاء المسارعة . . .

أي . . . فليسارعوا . . . إلى الإستجابة لي . . .

أسارع . . . إلى الإستجابة لهم !!!

أنظر إلى السياق :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ
الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ
يُرْشَدُونَ ﴾ .

فالمكنون في الفاء هنا . . . من قوله « فَلْيَسْتَجِيبُوا

لي » طلب المسارعة في الإستجابة من العبد . . . إذا

أراد أن يسارع إليه الرب في الإجابة . . .

فانشق من بحرها . . . ناموس جميل . . .

إن من سره أن تستجاب دعوته . . . فعليه أن

يسارع إلى الإستجابة لأوامر ربه . . .

وإن أسرع الناس إجابة لدعوته ... أسرعهم
استجابة لربه .

وإن نسبة إجابة دعاء الداع ... بنسبة استجابته
لأوامر ربه !!!

ثم جعلت أتحسس البراهين ... من كتاب
ربي ...

فطالعتني برهان عجيب ... لا مزية فيه ...
هو قوله عز وجل :

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ

﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا

﴿ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ . ﴾ !!!

كانوا يُسَارِعُونَ ؟ !!!

دائماً يسارعون ...

كلما ناداهم ... قالوا : لِيَّكَ اللَّهُمَّ لِيَّكَ !!!

حقائقهم مستجيبة ... أزلاً ... لربها ...

فلما كانوا ... في الدنيا ... سارعوا إلى تلبية

النداء ... قبل أن يستتم النداء ...

كلما سمعوا ... « يا عبادي » ... طاروا
إليه ... شوقاً وأنساً وحُباً ...

فلو لم يأمرهم وبينهاهم ... لأتمروا وانتهوا ...
لما في حقائقهم من الشوق والحب الأزلي ...

فكيف وقد ناداهم ... وخاطبهم !!؟

إنهم يسارعون إلى تلبية النداء ...

واسمع في ذلك وصفه لهم :

﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ .

﴿ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ . ﴾ !!!

هم أسبق الأدميين ... تلبية لنداء ربهم !!!

وهم أحق من تحقق بقوله :

﴿ فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ ﴾ !!!

وأول من تحقق بقوله :

﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ ... ﴾ !!!

تأمل ... الجمال المكنون في قوله :

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ ... ﴾

﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ... ﴾

يُسَارِعُونَ ... وَيَدْعُونَ !!؟

سارعوا إلى الخيرات ... تلبية لندائه ...

فلما دعوه ... سارع إلى الإستجابة

لدعائهم ...

وتأمل « رَغَبًا ... وَرَهَبًا »

رغبا ... فيه ... حبا وشوقا إليه ...

ورهابا ... وخوفا ... أن يقطعهم عنه ...

إنهم لا يطيقون قطع الوصال !!!

فلما آنت من جانب هذه الآية برهاناً ...

جعلت أتبع ... الفاء المباركة ... في آيات

أخرى ...

فطالعني وجهها الجميل في قوله سبحانه :

﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾ .

ف... لِنِعْمَ ؟!!!

فسارعنا إليه بالإستجابة .. لأن نوحاً ... سارع
إلينا بالإستجابة لنا ... في كل ما أمرناه !!!

والفاء ... هنا ... فيها سر عجيب !!!

فاء ... فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ...

توجب المسارعة من العباد ... لله ...

أي ... من وجه الخلق ...

أما فاء ... فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ... فتؤكد

المسارعة من الله ... للعباد ...

أي ... من وجه الحق ...

فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ... تقيم الطرف الأول من

الناموس ...

أن الله أوجب على نفسه ... أن يسارع إلى

الإستجابة لعبده ... إذا سارع العبد من قبل إلى

الإستجابة لندائه وأمره ...

أما فاء ... فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ... فإنها تقيم الطرف الثاني من الناموس ...

أن الله أوجب على عباده ... أن يسارعوا إلى الإستجابة لأوامره ... إذا أرادوا أن يسارع إلى الإستجابة لدعائهم !!!

ومن كلا الطرفين ... قام الناموس الجميل :

﴿ مَنْ سَرَّهُ أَنْ أُسْتَجِيبَ لِدَعَائِهِ إِذَا دَعَانِ ...
فليستجب لي إذا أمرته ﴾ !!!

ثم تبعت الفاء المباركة ... فرأيتها بوجهها الجميل ... تتلأأ في قوله :

﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ
مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ .

﴿ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ
كَانُوا قَوْمٌ سَوَاءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ . ﴾

وجهها الجميل ... تراه ها هنا ثلاث مرات :

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ...

فَنَجَّيْنَاهُ ...

فَأَغْرَقْنَاهُمْ . . .

وفي نفس الدائرة . . . تراها تتلالي . . . في

قوله :

﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرُ .

﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ .

﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ

قَدِرَ . ﴿ !!!

إِنِّي مَغْلُوبٌ . . . فَانْتَصِرُ .

وعلى الفور : فَفَتَحْنَا !!!

وهذا يشعشع في قلبك شيئاً من نور قوله سبحانه

﴿ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ . ﴿ !!!

نحن أسرع . . . مَنْ يُجِيبُ . . . مَنْ دَعَاهُ . . .

ما استنصرنا عبد . . . إلا نصرناه . . .

وما نادانا عبد . . . إلا لبَّيناه . . .

وما أرادنا عبد . . . إلا أردناه !!!

فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ !!!

نعم ... ثم نعم ... ثم نعم !!!
حتى إذا نعمنا ... في ظلال جنة ... نوح ...
عليه وعلى نبينا السلام ...

آن لنا ... أن نستأذن ... ربنا تبارك
وتعالى ... أن ننعم ... بنعيم جنة داوود
وسليمان ... عليهما وعلى نبينا السلام ...

وفي هذه ... نجد وجه الفاء المباركة ... يتبسم
لنا في قوله :

﴿ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ
نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ .

﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ... ﴾ !!!

فَفَهَّمْنَاهَا !!؟

فوراً ... فهَمناها سليمان !!!

سارع إليه بالعطاء ...

ففهم الطفل ... ما لم يُؤتَ الوالد النبي !!!

وفي هذه الجنة السلিমانية ... يُفهمنا الله فهماً
جديداً ...

أن الله . . . يسارع إلى العبد . . . الذي لبَّاه من
قبل . . . ولو لم يكن من العبد . . . دعاء باللسان !!!
وهذا فهم عن الله جديد . . . يؤنسك فيه قوله :

﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ . . .
﴿ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا . . . ﴾ !!!

علم ما في قلب سليمان . . .
فأثابه . . . فتحاً !!!

حتى إذا نعمنا بنعيم . . . الجنة السلیمانية . . .
استأذناه . . . أن يأذن لنا سبحانه . . . أن تهب
علينا نسائم جنة أيوب . . . عليه وعلى نبينا السلام . . .
فإذا بالجميلة . . . تلکم الفاء المباركة . . . تبسم
في قوله :

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ
الرَّاحِمِينَ .

﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ
وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ . ﴾ .

وجهها الجميل يتلأأ في :

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ...

فَكَشَفْنَا ...

فاستجبنا ... فكشفنا !!!

فوراً استجبنا ... فوراً كشفنا !!!

سارعنا إلى الإستجابة له ...

سارعنا إلى كشف ما به من ضرر ...

بانه كان يسرع إلى الإستجابة لنا من قبل !!!

استمع إلى جمال التأوه ... إلى أرحم

الراحمين :

﴿ إِنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ !!!

ما إن تأوه بها ... إليه ...

وتحنن بها : ... إليه !!!

إلا والإستجابة كانت أسرع إليه ... من

تأوهه !!!

﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ

وَشَرَابٌ . ﴾ !!!

فاغتسل ... وشرب ... فذهب عنه كل
ضُره !!!

لماذا ذ!!!

﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا
﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ
﴿ إِنَّهُ أَوَّابٌ . ﴿ !!!

إنه كان يسارع إلى الإستجابة لأمر ربه ... فسارع
سبحانه إلى الإستجابة له ... لما دعاه !!!

نِعْمَ الْعَبْدُ !!!

هنيئاً لك ... يا أيوب !!!

إذا قال الله ... عن عبد « نِعْمَ الْعَبْدُ » فماذا
يكون !!؟

ثم نستأذن ربنا سبحانه وتعالى ... أن ندخل إلى
جنة يونس ... عليه وعلى نبينا السلام ...

فإن الدخول إلى جنات الأنبياء ...
مستحيل ... إلا أن يأذن الله ... لمن يشاء
يرضى !!!

وفي الجنة اليونسية . . . نرى وجه الفاء
الجميل . . . يتسم لنا في قوله تعالى :

﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ
فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ
مِنَ الظَّالِمِينَ .

﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي
الْمُؤْمِنِينَ . ﴾

فنادى !!!

فاستجبنا !!!

سارع إلى ندائنا . . .

فسارعنا إلى الاستجابة له . . .

ونحن أسرع !!!

لماذا تداركه سبحانه بنعمة منه !!؟

﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ . ﴾ !!!

كان يسارع إلينا من قبل . . . فسارعنا إليه عندما

نادانا !!!

﴿ فَنَبِّذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ . ﴾ !!؟

فوراً . . . أخرجناه من بطن الحوت . . .

وفوراً ألقيناه على الشاطئ !!!

ثم نستأذنه سبحانه . . . لندخل إلى جنة
زكريا . . . عليه وعلى نبينا السلام . . .

﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ
خَيْرُ الْوَارِثِينَ .

﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ
إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا
وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ . ﴿

ناداه . . .

لَا تَذَرْنِي فَرْدًا !!!

فلبَّاه . . .

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ . . . وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى !!!

لماذا . . . إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ . . .
وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا !!!

وانظر إلى جمال التداء . . .

وجمال الإستجابة :

فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا !!!

فإذا بالإستجابة ... فوراً ... ورأساً :

﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ : يَحْيَى لَمْ
نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ !!!

فانظر ... وتأمل ...

حرف واحد ... من كتاب ربي ...

حرف الفاء ... من قوله سبحانه : ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا

لِي ﴾ ...

انظر ماذا فيه من عجائب ... وماذا فيه من

أسرار ... وماذا فيه من إشارات؟!!

كل أولئك انبثق من شعاعة واحدة ...

من شعاعات ... حرف واحد ...

فكيف إذا انفجرت البحار كلها?!!

سِرٌّ . . . النُّونُ . . . !؟

﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِلًا . ﴾ !!؟

في ماذا !!؟

في قوله تعالى :

﴿ نَّ ﴾ !!!

نُونُ !!؟

في مطلع سورة القلم تقرأ : ﴿ نَّ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ .

فماذا في هذه النون !!؟

خطر لي فيها احتمال . . . يوشك أن يكون

يقيناً !!!

أَنْ ... نُونٌ ... هنا تشير إلى قوله تعالى ﴿ كُنْ
فَيَكُونُ ﴾ !!!

لماذا ... ولماذا ترجح عندي هذا الاحتمال !!؟
من بقية الآية ﴿ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ !!!
فالقلم هنا ... هو قلم القدرة التي لا
تتناهى ...

فإذا ما أراد تعالى شيئاً ... فإنما يقول له كن
فيكون ...

فيجري به ... قلم القدرة ... ويسطره في لوح
القضاء ...

ثم تتلقى الملائكة ... من ذلك اللوح ... ما
شاء الله ... أن يكون ... وتسطره في صحائف
الأكوان !!!

ومن هذا الفهم يكون معنى قوله تعالى :

﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ .

كُنْ فيكون ... والقلم الأعلى ... وما يسطر في

لوح القضاء ... وما تسطر الملائكة من ذلك
اللوح ... في صحائفها ... وفي صحائف
الأكوان !!!

ومن هذا المفهوم ... مفهوم أن ... نون ...
إشارة إلى ... كُن فيكون ...

يتفجر بحر لُجِّي ... لا أول له ولا آخر ...

كُن فَيَكُون ... ﴿ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ .

فيتحتم علينا أن نتصفح ... كُن فيكون ... من

الكتاب المجيد !!!

يقول عز وجل ؛

﴿ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ .

[آل عمران ٤٧]

ويقول :

﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ

فَيَكُونُ ﴾ .

[النحل ٤٠]

ويقول :

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ .

[يس ٨٢]

وبالتأمل . . . ثم التفكير . . . ثم السبح
الطويل . . . في هذا الناموس الكلي الجميل
الجليل . . . كُنْ فَيَكُونُ . . . تتفجّر حقائق عليا . . .
تشمل كل شيء . . . كان أو يكون أو بين ذلك !!!

فإن من شيء . . . كان أو يكون . . . إلا ومن
الحتم عليه أن يمر . . . على هذه السلسلة المقدسة :

﴿ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ .

كُن . . . فَيَكُونُ !!؟

فيها كل شيء . . .

للسائلين عن سر كل شيء !!!

كُن !!!؟

هذه بداية . . . أي شيء !!!

كلمة . . . ينشق منها بدء كل شيء !!!

فَيَكُونُ ؟!!!

حتماً . . . يكون . . .

كما أردنا . . . كيفما أردنا . . . وقتما أردنا . . .
في الصورة التي أردنا . . . إلى المدى الذي أردنا !!!

كُنْ ؟!!!

أمر . . . ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ
كُنْ . . . ﴾ !!!

فكل كائن . . . يمر على هذه المراتب . . .

إرادة الله . . .

أمر الله . . .

قول الله . . .

فيكون !!!

شيء رهيب عجيب غريب . . .

ناموس أزلي . . . يتحتم على كل كائن أن يمر

على مراتبه !!!

إِذَا . . . « كُنْ فَيَكُونُ » . . .

لا تتناهى . . . لأن إرادة الله لا تتناهى . . . فأوامر
الله لا تتناهى . . . فكلمات الله لا تتناهى . . .
فالكائنات التي تتكون لا تتناهى !!!!!!!

فنبئني بربك بعد هذا . . . أني للعقول أن تدرك
هذا؟!!!!

سبحانك . . . سبحانك !!!

ولعل هذا هو سر بدء هذه الآية بقوله :

﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ . ﴾

تعقيباً مباشراً على قوله تعالى في آخر سورة يس :

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ
فَيَكُونُ . ﴾

فيعقب على هذا مباشرة بقوله : ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي
بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . ﴾ !!!

تداركنا الله برحمة منه حين قال ﴿ فَسُبْحَانَ ﴾

لعلمه تعالى أن ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ لا تنهاهى . . . وكلماته
لا تنهاهى . . . والكائنات لا تنهاهى !!!

فجاءت « فَسُبْحَانَ » تعبيراً معجزاً . . . يعبر به
الإنسان عن عجزه التام . . . عن إدراك عجائب « كُنْ
فَيَكُونُ » !!!

كُنْ ؟!!!!!!!

قائمة أبداً . . .

هي بدايتك . . . إن كنت تبحث عن بدايتك . . .
وهي بداية كل شيء . . . إذا سأل كل شيء عن
بدايته !!!

فَيَكُونُ ؟!!!!

هي قيامك . . . وقيام كل شيء . . . إن كنت
تسأل : كيف كنتُ ؟! . . . وكيف أقوم ؟!!

مستحيل . . . ثم مستحيل . . .

ووالله . . . وباللله . . . وتالله . . . إن عقول الخلق
أجمعين . . . لتعجز عن إدراك سر « كُنْ فَيَكُونُ » . . .

فلا يعلم « كُنْ فَيَكُونُ » . . . إلا الله . . . ﴿ أَلَا لَهُ
الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ !!!

وما لهم لا يعجزون . . . وهذه صفاته تعالى !!؟

وأنى لمن هو مجرد . . . كلمة . . . من « كُنْ

فَيُكُونُ » أن يدرك « كُنْ فَيُكُونُ » !!!؟

ها هنا . . . تسجد العقول . . .

ها هنا . . . تسجد القلوب . . .

ها هنا . . . تهتف الكائنات كلها . . . ما كان

منها . . . وما يكون . . . وما سيكون . . .

سُبْحَانَ . . . مَنْ أبداعنا . . . من كلمة . . .

كُنْ . . .

سُبْحَانَ . . . مَنْ جعل قيامنا من كلمة . . .

فَيُكُونُ !!!

امدّد بعقلك إلى أقصاه . . . واستظهر بعقول

الخلق أجمعين . . .

ثم تفكروا : متى . . . وكيف . . . وأين . . .

ولماذا . . . « كُنْ فَيُكُونُ » !!!؟

ترجع العقول إليكم خاسئة وهي حسير !!!

لأنه . . . لا متى ولا كيف . . . ولا أين . . . ولا

لماذا . . .

وَإِنَّمَا ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ !!!

إنما ألفتكم إلى واحدة : أن تتفكروا كم عدد الكائنات التي صدرت عن « كُن » ... وتصدر ... وسوف تصدر !!!؟

لا إله إلا الله !!!

لا يعلم ذلك إلا الله !!!

كم عدد الكائنات ... التي تتكوّن ... وتكوّنت ... وسوف تتكوّن ... من « فَيَكُونُ » !!!؟

الله وحده الذي يعلم !!!

كم رُوح ... أبدعتها ... كُنْ فَيَكُونُ !!!؟

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ ... !!!

كم صورة أبدعتها ... كُنْ فَيَكُونُ !!!؟

كم مرتبة ... أقامتها ... كُنْ فَيَكُونُ !!!؟

كم أكوان ... كوّنتها ... كُنْ فَيَكُونُ !!!؟

كم مجرّة كم نجم كم شمس كم
كوكب كم قمر كم أرض أم جبل
كم بحر كم حيوان كم نبات كم
شجرة كم ورقة كم ثمرة كم غصن
كم خلية كم ذرّة كم نفس كم
إنسان كم شيطان كم جني كم
أدمي كم ملك كم كم كم ؟!!!

كُنْ فَيَكُونُ ؟!!!

آه يوشك عقلي أن يذهب ولا أستطيع
أن أدرك شيئاً من آثارها فكيف بحقيقتها
أم كيف بسرّها أم كيف بسرّ سرّها ؟!!!
كل أولئك كان في قوله تعالى ﴿ ن ﴾
نون مكنوناً !!!

فإن قيل : أنى لك هذا ؟!!!

قلت : مجرد احتمال مجرد فهم
فإن جعله ربي حقاً فله الثناء الجميل
وإن كان ظناً فذلك ما ظننت

فلا أَلزِمُكَ بشيءٍ . . . وإنما هي لحظات من
الأنس بقوله تعالى ﴿ نَ . . . ﴾ . . .

والأنس بقوله تعالى ﴿ كُنْ فِيكُونُ ﴾ . . .

فإن كانت . . . نون . . . إشارة إلى . . . كن
فيكون . . .

فنعماً ذهبْتُ إليه . . .

وإن كانت غير ذلك . . .

فاللهم إنك . . . عفوٌ كريم . . . تحب العفو . . .

فاعف عنا !!!

وَمَا .. أَمْرُنَا .. إِلَّا وَاحِدَةٌ .. !؟

أطربني ... قول ابن العربي ... شيخ
العارفين ... حين قال :

الأمر أمران ... أمر تكويني ... وأمر
شرعي ...

ثم قال : الأمر التكويني ... يصدر عن كن
فيكون ...

والأمر الشرعي ... هو ما أمر الله في
شرائعه ...

ثم يقول ما ملخصه ... أن الأمر التكويني حتمي
الوقوع ...

وأما الأمر الشرعي . . . فقد يطاع أو لا يطاع !!!

هذا ملخص ما قال ابن العربي . . .

وهو مفتاح خطير . . . يفك الطلسم الذي يحير
كثيراً من الناس .

فإن كثيراً من الناس يقولون : كيف يُصدر الله
أوامره ونواهيه في شرائعه ، ولا يطيع هذه الأوامر إلا
القليل من الناس !!؟

كيف يسمح الله أن يحدث هذا في مملكته ، ومع
قدرته على سحق من عصاه !!؟

ثم ما الحكمة من إصدار أوامر في الشرائع ، مع
علم الله السابق أن أكثر الناس سوف لا يطيعون تلك
الأوامر !!؟

إلى آخر هذه السلسلة من التساؤلات المحيرة التي
لا تجد لها جواباً شافياً !!!

فلما قرأت لابن العربي أن الأمر الإلهي
أمران . . . تكويني حتمي . . . وشرعي اختياري . . .
كان قوله بلسماً شافياً . . . دَلَّ على أن الرجل ذو علم

رفيع . . . لا يُلقاه إلا ذو حظ عظيم !!!
وفي ضوء شعاع ابن العربي . . . نسبح في
القضية فنقول :

أصل الأمر واحد . . . يتفرق هذا من مثل قوله
تعالى :

﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمَحٍ بِالبَصْرِ . . . ﴾ !!!

أي أمر الله . . . واحد . . .
إذا قال سبحانه لشيء أراده « كُنْ » . . . حتماً
« يَكُونُ » !!!

والأمر التكويني . . . الصادر عن « كُنْ فَيَكُونُ »
يتحتم وقوعه . . . ومستحيل عدم وقوعه . . .

وما من شيء . . . إلا وهو صادر عن « كُنْ » . . .
السموات . . . الأرض . . . العلويات . . .
السفليات . . . الكائنات جميعاً . . . صغيرها
كبيرها . . . كل شيء قال له الله « كُنْ » . . . « فَيَكُونُ »
كما أراد سبحانه !!!

هذا عن الأمر التكويني . . . الحتمي . . .

الأوتوماتيك . . . الذي ينتظم الأكوان من أعلى
مراتبها . . . إلى أسفل مراتبها !!!

و « كُنْ فَيَكُونُ » قهر . . . وجبر . . . ولا اختيار
للكائن في شيء منه على الإطلاق . . .

فاقتضى ذلك أن ما يصدر عن « كُنْ فَيَكُونُ » . . .
لا يترتب عليه حساب ولا ثواب ولا عقاب !!!
أراد الله شيئاً ما . . . فقال له « كُنْ » . . . فكان
هذا الشيء . . . كما أراد الله منه . . . فيوجد هذا
الشيء . . . ويقوم كما أراد الله له أن يقوم . . . ثم يفنى
حين يريد الله له الفناء . . .
فالعادل . . . ألا يحاسب هذا الكائن على شيء
من حياته . . . حيث لا اختيار له في شيء من
حياته . . . وبالتالي لا ثواب له ولا عقاب . . . حيث لا
إرادة له . . . ولا اختيار !!!

وفي هذا الناموس تقوم الكائنات كلها . . . تمضي
في حياتها . . . كما أرادها الله . . . ثم تفنى إذا أراد الله
فناءها . . . ولا شيء عليها . . . ولا شيء لها !!!
ضع ذلك في أمثلة معلومة . . .

الحيوان . . . يوجد كما أراد الله . . . ويحيا . . .
ويفنى . . . ولا شيء عليه . . . ولا شيء له !!!

حيث لا اختيار له في شيء من أمره !!!

الجاموسة كمثل . . . كوني . . . فتكون
جاموسة . . . فتقوم . . . ثم تفنى . . . وينتهي أمرها
عند هذا . . . فلا لها ولا عليها . . . حيث لا اختيار لها
في شيء من أمرها !!!

النبات . . . كن . . . فيكون كما أراد الله . . . ثم
يفنى . . . ثم لا شيء له ولا شيء عليه !!!

الملائكة . . . كونوا . . . فيكونون . . .
ملائكة . . . كما أرادهم الله . . . ثم يقومون . . . ولا
اختيار لهم في شيء من أمرهم . . .

﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا
يُؤْمَرُونَ﴾

ثم يفنون حين يريد الله لهم الفناء . . . ولا شيء
لهم ولا شيء عليهم !!!

السموات . . . كوني . . . فتكون . . . كما

أرادها الله . . . وتحيا ملايين السنين . . . ثم تفنى . . .
إذا أراد الله لها الفناء . . . ولا شيء لها . . . ولا شيء
عليها . . . حيث لا اختيار لها في شيء من أمرها !!!
الأرض . . . كوني . . . فتكون . . . كما أراد
الله . . . وتحيا ملايين السنين . . . ثم تزول إذا أراد الله
لها الزوال . . . ولا شيء لها ولا شيء عليها . . . حيث
لم يكن لها الاختيار في شيء من أمرها !!!

وهكذا جميع الكائنات . . . تسري فيها . . .
حتمية « كُنْ فَيَكُونُ » . . . وأتوماتيكية « كُنْ
فَيَكُونُ » . . . فالعدل الالهي . . . ألا يؤاخذها على
شيء . . . وإلا يكون لها شيء . . . حيث أنها تقوم في
« لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ » !!!

حتى جاء دور كائن عجيب هو أعجب
مخلوق . . .

ذلك هو الإنسان . . . خُلِقَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ كُنْ
فَيَكُونُ ﴾ !!!

﴿ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ
فَيَكُونُ ﴾ .

كُن . . . فكانَ آدم . . . كما أراد الله . . .
حتى هنا . . . لا جديد في النواميس بالنسبة
لآدم . . .

فهي تسري فيه قهراً وجبراً . . . أوتوماتيكياً . . .
فمن الحتم أن يكون . . . ومن الحتم . . . أن
يأكل ويشرب . . . ومن الحتم أن ينكح وأن يتناسل . . .
ومن الحتم أن ينام . . . ومن الحتم أن يموت . . . شأنه
في ذلك شأن الحيوان !!!

فما هي الاضافة الجديدة إذا في خلق
الإنسان . . . أو في تركيب الإنسان ؟ !!!

الإضافة الجديدة هي : ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ
رُوحِي﴾ !!!

من صفاتي . . . ومن صفات الألوهية . . .
الارادة . . . والاختيار . . .

هذه هي المرتبة الجديدة التي اضيفت في تركيب
الإنسان . . .

له إرادة حرة . . .

له حرية الاختيار . . .

فالإِنسان تسري فيه جميع نواميس ﴿كُنْ﴾
فِيكُونُ﴾ ...

وهو بهذا يوازي جميع الكائنات ...

وزاده عليها ... مرتبة أعلى ... مرتبة الإرادة
الحرّة، ... التي تختار ما تشاء !!!

فتحتّم لذلك ... أن يُكلف ... أن يؤمر
ويُنهى ...

فإن خضعت إرادته ... للأمر الناهي ... تحتّم
أن يُثاب ...

وأن رفضت ارادته ... أن تخضع للأمر
الناهي ... تحتّم أن يعاقب ...

وقامت القصة الكبرى ... قصة الإنسان ...
وكائن ... كان من ﴿كُنْ فِيكُونُ﴾ ... وهذا هو
لجانب الجبري في تركيبه ...

فكينونته حتميه ... وطعامه وشرابه ونكاحه ...
جبري لا اختيار له فيه ...

وجانب اختياري ... أذن الله له فيه ... أن

يكون ذا إرادة حرة . . . واختيار حر . . .

وهذا الجانب هو الذي وقع عليه التكليف
الإلهي . . .

فإذا أمر الله ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ . . . فإنما يخاطب
إرادة الإنسان الحرة . . . يخاطب اختاره الحر . . .
الذي يستطيع أن يقيم أو لا يقيم . . .

وبالفعل صدر أمر ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ منذ آلاف
السنين . . . في جميع الشرائع . . . فأطاعه كثير من
الناس . . . وعصاه كثير من الناس . . .

فما أرغم الله أحداً . . . على إقامة الصلاة . . .

وهذا هو العدل المطلق من الله . . . بالنسبة إلى

الإنسان !!!

ولكن أمراً إلهياً مثل قوله تعالى : ﴿كُلُوا
وَأَشْرَبُوا﴾ لم يعصه أحد قط . . . لأن هذا أمر
تكويني . . . حتمي . . . فمن الحتم أن يأكل كل إنسان
وأن يشرب . . .

فأكل كل إنسان وشرب . . .

وإنما الذي عصاه الإنسان هو باقي الأمر ﴿ولا تُسرفُوا﴾ لأن الإنسان مختار هنا . . . أن يسرف أو لا يسرف . . .

والذي حدث أن أكثر الاس عصوا هذا الأمر . . .
فأسرفوا !!!

ذلك أن التكاليف الالهية . . . تخاطب من
الإنسان المرتبة الاختيارية . . . لا المرتبة التكوينية
الحتمية . . .

فما أنت مختار فيه . . . فأنت مسئول عنه . . . إن
احسنت فلك ثواب . . . وإن أسأت فعليك عقاب !!!
ولذلك لا يصدر الله - مثلاً - إلينا أمراً فيقول
« بُولُوا » . . . لأن هذا لا يحتاج إلى أمر تشريعي . . .
فمن غير أمر لا بد أن تبول . . . لأن الأمر التكويني
الساري فيك أوتوماتيكياً . . . حتماً . . . يضطرك أن
تبُول !!!

وإنما يأمرك الله . . . بأداب تتعلق بالبول . . .
ليبلغ بك الكمال في أداء العملية فيقول مثلاً :

﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَا مَسْتَمُ النَّسَاءِ﴾

﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا...﴾

هذه واجبات تخاطب المرتبة الاختيارية في
الإنسان . . . فله أن يفعل . . . وله الثواب المترتب على
فعله . . . وإن لم يفعل . . . عليه العقاب المترتب على
عصيانه !!!

وقامت القصة الكبرى . . . جميلة . . . جليلة . . .
عادلة اتم العدل . . .

كائن . . . زاد الله في تركيبه . . . عن
الكائنات . . . مرتبة جديدة . . .

مرتبة حرية الارادة . . . وخرية الاختيار . . .

فله أن يختار ما شاء . . .

وفي مقابل هذا التشریف . . . القبي عليه
التكليف . . .

ليصبح مسئولاً عن فعله . . . أمام الله . . .

لا يريد الله بذلك . . . أن يعنته . . .

وإنما يريد . . . أن يظهر . . . امتياز
الممتازين . . . وهبوط الهابطين . . .

فمن نجح في الإجابة على الأسئلة . . . فقد فاز .
فوزاً عظيماً . . . وأدخل جنات فيها ما لا عين رأت ولا
أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . . .

والعكس صحيح . . . من رسب في الإجابة على
الأسئلة . . . فقد خاب وخسر خسرانا عظيماً . . .
وأدخل ناراً فيها ما لا خطر على قلب بشر من
العذاب !!!

عدل مطلق . . .

وهذا هو الظن بالله العظيم . . .
ما كان لله أن يعذب أحداً . . . ليس حراً في
اختياره . . .

سبحانه أن يظلم أحداً . . .
وإنما منح الإنسان . . . مرتبة جديدة . . . فوق
تركيب الكائنات .

مرتبة حرية الاختيار . . . وحرية الإرادة . . .

فلما منحه حرية الاختيار . . .

أمره ونهاه
لينظر من يتجه نحو الكمال . . .
فيتوجه إلى الله . . . باختياره . . . ومحض
إرادته . . .

ومن يتوجه إلى أسفل . . . باختياره . . . ومحض
إرادته . . .

ذلك هو الجانب الحر في الإنسان . . .
مرتبة حرية الاختيار . . .
وهو ما منحه الله للإنسان . . . فوق ما يسري فيه
أصلاً من تركيب ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ . . .

وإنه لشرف اعطاه الله للإنسان عظيم !!!
يوازيه قيام المسؤولية على الإنسان . . .
ينبني على ذلك كله . . . ثواب المحسن ،
وعقاب المسيء !!!

ولا يتصور أعدل من ذلك . . .
ولا أكمل من ذلك . . . ولا أحسن من ذلك
تركيبا !!!

فما أعظم ما أشار إليه ابن العربي ... من أن
الأمر أمران ... تكويني وشرعي ... وأن التكويني
حتمي لا يوجب ثواباً أو عقاباً ... لأن الكائن فيه لا
اختيار له ... وأن الشرعي ... يترتب عليه الثواب
والعقاب ... لأن الكائن فيه له القدرة على
الاختيار ...

وقامت الشرائع كلها ... على العدل الألهي
... التام ...

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ
لِكَلِمَاتِهِ ...﴾

ما أعظم هذا المفتاح !!!
إنه يغسل جميع الشكوك والوساوس من
النفوس !!!

اللهم أكرم ابن العربي ... كما أكرمتنا به ...
حين جلي ذلك المفهوم النفيس !!!

وإنك لتجد الإشارة إلى القضية كلها ... في قوله
تعالى :

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ
وَالشَّجَرُ وَالذَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ
الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا
يَشَاءُ .﴾

سبحان الله وبحمده . . . سبحان الله العظيم !!!

القضية كلها . . . تتلأأ في تلکم الآية

الكبرى !!!

الإشارة إلى . . . الناموس الكلي . . . ﴿كُنْ
فِيكُونُ﴾ الساري في كل شيء . . . قهرا وجبرا . . .
الذي يحتم على كل شيء أن ينقاد لله . . . وأن يسجد
لله . . . الإشارة إلى ذلك القاموس واضحة جدا في
قوله :

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ
فِي الْأَرْضِ﴾ !!!

هذا هو الناموس الكلي . . .
هذه هي حتمية ﴿كُنْ فِيكُونُ﴾

قيل لكل شيء ... كُن ... فيكون ... :
حتماً ... كما أراد الله ...

ويسجد حتماً ... لله !!!
هذا هو الناموس الكلي ... الشامل لجميع
المراتب ... أعلاها وأدناها سواء !!!
ثم يضرب الله لنا مثلاً من كل مرتبة ... لنفهم
أكثر وأكثر فيقول :

﴿وَالشَّمْسُ﴾ شمسكم هذه التي عبدتموها ...
تسجد لي ... فلا تسجدوا للشمس ...

والشمس إشارة إلى جميع الشمس المبثوثة في
الأكوان ... لا إلى شمسنا هذه وحدها ...

وملايين الملايين من الشمس ... يسجدون
جميعاً لله !!!

﴿وَالْقَمَرُ﴾ وملايين ملايين الأقمار المبثوثة في
الأكوان ... يسجدون لله !!!

ثم وسَّع الدائرة ... فقال : ﴿وَالنُّجُومُ﴾ بصيغة
الجمع ... إشارة إلى ضخامة أحجامها ... وكثرة

أعدادها وأنها بلغت ما لا تدركه العقول
ملايين المجرات في كل مجرة ملايين
النجوم والشموس والأقمار والتوابع كل أولئك
يسجدون لله !!!

فلما أعطى أمثلة لعموم سجود السماوات ومن
فيها أعطى أمثلة من مراتب الكائنات في الأرض
فقال :

﴿وَالْجِبَالُ﴾ هذه المرتفعات العظيمة من
جبال الياسة وجبال البحار بل وجبال
السحاب بل والجبال في كل قمر وفي كل
شمس وفي كل نجم في الأكوان كل
أولئك يسجدون لله !!!

ثم انتقل إلى مرتبة من الكائنات آثار الحياة فيها
أظهر لأعيننا فقال :

﴿وَالشَّجَرُ﴾ إشارة إلى جميع أنواع النبات في
اليابس أو في البحر في الكرة الأرضية أو في
الأقمار أو في الشموس أو في النجوم
كل أولئك يسجدون لله !!!

ثم انتقل إلى مرتبة من الكائنات ... مظاهر الحياة فيها أكثر ظهوراً من النبات فقال :

﴿وَالذَّوَابُّ﴾ إشارة إلى جميع أنواع الذوَّاب ...
الزواحف ... الأسماك ... الطيور ...
الحيوانات ... كل كائن يدب ... أي يتحرك في
اليابس ... في البحر ... في الكرة الأرضية ... أو
في الأقمار ... أو في الشمس ... أو في
النجوم ... كل أولئك يسجدون لله !!!
هذه أمثلة عن جميع مراتب الكائنات ... في
السموات ... أو في الأرض ...

عن ناموس ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ ... وحتمية
الكينونة ... وحتمية الانقياد ... وحتمية السجود ...
ذلك الناموس الكلي ... الساري الجاري في كل
شيء !!!

ثم يفجؤنا القرآن ... بشعاع عجيب ...
معجز ... حين ينتقل إلى مرتبة الإنسان فيقول :

﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ
﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ !!!

والاعجاز هنا . . . أنه لم يقل . . . وَالنَّاسُ . . .
أي والناس يسجدون . . .

كلا . . . وإنما قال : وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ . . . وكثيرٌ
حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ !!!
لماذا !!؟

لأن مرتبة الإنسان . . . شيء يخالف كل المراتب
السابق ذكرنا . . .

مرتبة . . . فيها تركيب جديد . . . فيها . . . حرية
الإرادة . . . وحرية الاختيار . . .

فكانت النتيجة الطبيعية لتركيب هذه المرتبة . . .

أنَّ منها مَنْ سجد لله . . . باختياره الحر . . . لأنه
أراد أن يسجد لله . . .

ومنها من أبى أن يسجد لله . . . باختياره
الحر . . . لأنه أراد ألا يسجد لله !!!

وهذا وجه من الأعجاز بديع عجيب !!!
يدل دلالة عجيبة . . . على أن هذا الكلام كلام
الله حقاً وصدقاً وعدلاً !!!

فإن الاحاطة التامة . . . بأطراف القضية كلها . . .
على مستوى الكائنات جميعاً . . . ثم هذا التحديد

العجيب لمرتبة الإنسان . . . وهذا التسجيل المحكم
لحصاد حرية الاختيار في الإنسان . . . فسجد منه
كثير . . . وأبى أن يسجد منه كثير . . . كل أولئك يؤكد
أن الكلام كلام سن وسع كل شيء علماً!!!

لأن الخلق ليس منهم من يستطيع ان يحيط بكل
شيء علماً . . . هذه الاحاطة المطلقة!!!

والإشارة الأعجب في قوله : ﴿وَكثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ
العَذَابُ﴾ أن العكس صحيح . . . بالنسبة للطرف الثاني
الذي سجد . . .

أي . . . وكثير حُقَّ له النعيم . . .

والإشارة الأخرى في قوله :

﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ . . . أن هؤلاء

الذين أبوا أن يسجدوا لله من الناس . . . بمحض

اختيارهم الحر . . . ومحض ارادتهم الحرة . . . قد

أهانوا أنفسهم الالهانة التي ليس بعدها إهانة . . .

وحقروا أنفسهم الحقارة . . . التي ليس مثلها

حقارة . . .

فإن الله . . . منحهم . . . الارادة الحرة . . .

والاختيار الحر . . .

تكريماً لهم . . . على سائر الكائنات . . . فكونك
حراً تفعل ما تشاء . . . وتختار ما تشاء . . . فإنه منتهى
التكريم . . .

فإذا أصابك غباء الغباء . . . فاستعملت هذه
الحرية . . . في منازعة الله . . . والتأبي عليه . . . وقد
كنت تستطيع ان تستجيب له . . .

فقد سجلت على نفسك إنك تستحق
العذاب . . . ﴿وَكثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ !!!

والعكس صحيح دائماً . . . فإذا قال : ﴿وَمَنْ يُهِنِ
اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ . . . فهمنا فوراً . . . ومن يكرم
الله فما له من مُهين !!!

ثم يكون اعجاز الختام اعجب واعجب !!!
﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ !!!

هذا هو سر الأمر كله !!!
أن الله تعالى . . . يفعل ما يشاء . . .
ركب مراتب الكائنات . . . تركيباً بديعاً . . . ليس
كمثله تركيب . . .
فمنهم . . . الساجد أبداً . . .

ومنهم ... مَنْ منحه حرية الاختيار ...
كالإنسان ...

فان سجد ... له ... مختاراً ...
اكرمه ... اكراماً وراء التصور ...
وان أبى ... فقد أهان نفسه ... واختار
مصيره ...

ذلكم بأن الله يفعل ما يشاء ...
وأن مقتضى الألوهية ... أن يفعل الله ما
يشاء !!!

فان كان الله ... قد منح الإنسان ... فرصة أن
يفعل ما يشاء ...

فلا ينبغي للإنسان أن ينسى أنه عبد ...
والعبد يُسأل عما يفعل ...
والله وحده هو الذي :
﴿لَا يُسألُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ ...

أما جميع الناس فإنهم في ناموس :
﴿وَهُمْ يُسألُونَ﴾ !!!

سرُّ .. الرحمة ..؟!!

ما هو ...
سر الرحمة في سماع كلام الله ...
ولماذا لا تتحقق هذه الرحمة في سماع كلام
الناس؟!!

استمع مثلا الى قوله تعالى :
﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾
﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾

ثم فكَّر : لماذا تحس برحمة تسري فيك حين
تسمعها؟!!

ثم لساذا لا تجد هذه الرحمة حين تسمع كلام
البشر؟!!

ما هو السرّ؟!
ها هنا الأمر!!!
السرّ أن كلام الله . . . كُلِّي . . . على مستوى ما
كان . . . وما سيكون . . .

حين يقول : الله خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ . . . وَهُوَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ وَكِيْلٌ . . . يفتح لك دائرة أوسع من السماوات
والأرض . . .

فإذا بك فوراً . . . تكشف البداية والنهاية . . . من
كل شيء . . . وكيف كان كل شيء . . . وكيف
يقوم . . . ومن الذي يتوكل بكل شيء . . . ومن الذي به
يقوم كل شيء؟!!

الأثر المباشر على احساسك حين تسمع هذه
الحقيقة الكلية . . . إنك تكبر أمام نفسك . . . وتشعر
بعزّة لم تكن تعرفها من قبل . . . فإن العزيز سبحانه
يخاطبك . . . ويكشف لك سر الأشياء كلها . . . وهذا
يورثك اعتزازاً بالله . . . وفخراً أن وجه الله إليك
الخطاب . . .

فإن المواطن البسيط إذا استدعاه رئيس

الدولة . . . وجعل يحدثه في شئون الدولة العليا . . .
ويكشف له أسرارها . . . يكاد يطير فرحا . . . أن ظفر
بشيء لم يظفر به من قبل . . . ولم يخطر على قلبه أن
يكون هذا من نصيبه !!!

فكيف يكون احساسك . . . والذي يحدثك . . .
مَلِكُ كل شيء . . . وقد آواك إليه . . . وجعل يحدثك
بما عنده . . . من أسرار مُلكه . . . وعجائب قدرته !!؟
ومَن أنت ؟!

أنت . . . كائن بسيط . . . من كائنات لا
تتناهي . . . ومع هذا اختصك الله . . . بحديثه . . .
وحدثك بأسراره في خلقه . . . وكيف تقوم الأشياء !!؟
في ذلك رفع عظيم لشأنك لو كنت تدري . . .
مَن أنت . . . حتى يقول لك الله :
اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ !!؟

ولا يقف بحديثه إليك . . . عند هذا . . . بل
يكشف لك الحقيقة كلها فيقول لك : وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
وَكَيلٌ !!؟

أنا ... يا عبدي ... خالق كل شيء ...
وأنا ... يا عبدي ... على كل شيء وكيل !!!
ها هنا أعطاك ربك ... علما لو اجتمع الخلق
كلهم على أن يأتوك به ما استطاعوا ... وأنى لهم ما لا
سبيل لهم إليه ???

إن الله حين يحدثك بهذا إنما يرفع مستواك رفعاً
عظيماً ...

فأنت استاذ المعرفة كلها ... لا يدانيك في
معرفتك ... إلا عبدٌ أوتي مثل ما أوتيت !!!

هذا سر واحد ... من أسرار : لماذا تجد من
الرحمة في سماع كلام الله ... ما لا تجد في سماع
كلام البشر !!؟

وسر آخر ... أن كلام الله ... روح ...
والروح ... تُحيي ما تنزل عليه .. من الأرض
الميتة ...

فإذا سمعت كلام الله ... إنطلق من كلامه
تعالى ... رُوح ... إلى قلبك ...

هذه الروح ... تشيع الحياة ... في قلبك ...
ثم تسري منه ... إلى سائر الجسد ... فتجد
آثار ذلك ... في كل خلية من خلاياك ... وتحس
بالرحمة تسري فيك ظاهراً وباطناً !!!

واستأنس في ذلك بقوله تعالى :

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ
تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ
وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ
وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ .

هذه الانفعالات العضوية ... من أين

جاءت !!؟

اقشعرار الجلود ...

ثم لين الجلود ...

ثم لين القلوب ...

كل أولئك كيف كان !!؟

كان من كون كلام الله ... روح ...

والروح ... فعالة ... تؤثر في البدن ... تأثيراً

مباشراً ...

حين سمعوا كلام الله . . . اهتز جهازهم العصبي
اهتزازاً عنيفاً . . . وظهر أثر ذلك في ﴿تَقَشَّعِرُ مِنْهُ
جُلُودُ . . .﴾ لأن الجهاز العصبي ممدود في كل صفحة
الجلد . . . فلما اقشعر الجهاز العصبي . . . اقشعر
الجلد تبعاً له !!!

فلما أخذ الخوف منهم مأخذه . . . وأقشعرت
منهم الجلود . . . هبَّت عليهم من ربهم نسائم
الأنس . . . وطالعتهم بهجة التجلي . . . فكانت
الأخرى ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ . . .
انبسط جهازهم العصبي . . . بعد أن كان منقبضاً . . .
وهذا المشار إليه بلين الجلود . . .

وانبسطت انقلوب . . .
وانشرحت واتسعت . . .
حين آنست تجليات الجمال . . .
بعد أن وجلت القلوب . . . واقشعرت
الجلود . . . من تجليات الجلال !!!

هذه الانفعالات العضوية . . . هذه
القشعريرة . . . وهذا اللين . . . أو الهدوء العصبي بلغة

عصرنا . . . ما مصدره . . . وكيف كان ؟!!!
كان . . . كما رأيت . . . من أن كلام الله . . .
روح . . .

والروح . . . فعالة . . . مؤثرة في المادة تأثيراً
شديداً . . .

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا . . .﴾
!!! وسر آخر . . . أن كلام الله . . . نور . . .
﴿وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ
عِبَادِنَا . . .﴾ !!!

وطبيعة النور . . . أنه شحنة موجبة . . . تصعق
وتسحق الشحنة السالبة بالجسد . . . فتذهب بالظلمات
المتراكمة . . . التي تحدث العقد النفسية بالإسان . . .
فبيراً الإنسان من عقده النفسية ويشفى !!!

استأنس لذلك بقوله تعالى :
﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ
لِّلْمُؤْمِنِينَ . . .﴾
﴿وشفاء لما في الصدور . . .﴾

ها هنا ... فيه شفاء ... لما في الصدور ...
والصدور إشارة الى الأبدان ...
والشفاء شفاء النفوس من أمراضها ...
التي قد يترتب على شفائها ... شفاء اعضاء
الجسم من عللها ... حيث هناك ارتباط كبير بين
الأمراض النفسية ... والأمراض العضوية !!!

فحين تسمع القرآن ... وتصادف بعض الآيات
التي تعالج مشكلتك النفسية ... تشفى هذه الآيات
أمراضك النفسية ...

مما تحس آثاره البعيدة في نفسك ... وما تجده
من الرحمة تبعاً لذلك !!!

وهذه صفة فريدة من صفات كلام الله ...
ولعل السر في ذلك أن كلام الله ... تتجلى فيه
صفات الله كلها ...

ومن حيث أن الإنسان ... هو الشاشة التي
تنعكس عليها آثار هذه التجليات ...

فإن الإنسان كلما سمع شيئاً من كلام الله ...

انفعل قلبه بهذه التجليات . . .

فيكون منها ذلك الشفاء الذي يجده . . . مريض القلب . . . حيث يسمع كلام الله !!!

خذ مثلاً على ذلك . . .

رجل بقلبه مرض الكبر . . .
سمع قوله تعالى :

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ . . .﴾

ففزع منها . . . فشعَّ نورها في قلبه . . .

فزال عنه ما يجد من الكبر . . .

فانقلب انساناً رحيماً . . . رفيقاً بعباد الله . . .

هذا التحول . . . معناه أن الآية . . . أثرت في

قلبه . . .

وأن نورها . . . أذهب ظلماته . . .

وهذا نوع من شفاء القرآن لما في الصدور من

أمراض !!!

والشواهد والوقائع في هذا الباب لا تُحصى !!!

فكم من رجل أو امرأة . . . سمع شيئاً من كتاب
الله . . . فتحول لفوره . . . وتغير إحساسه وسلوكه
كله !!!

ولعل هذا هو سر الأمر الإلهي . . . بادامة تلاوة
القرآن يوميا . . . أو الإستماع إليه . . . ما تيسر ذلك
للمؤمن والمؤمنة .

لأن سماع كلام الله . . . معناه إنك تقوم بعملية
علاج متواصل . . . لما يعرض لك من أمراض
نفسية . . . أو أمراض قلبية . . . أو أمراض بدنية تترتب
على الأمراض الباطنة !!!

تجد الإشارة إلى ذلك كله في قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ

﴿ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا .

﴿ لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ . ﴾ !!!

إذا قرىء كلامي . . .

فاستمعوا له بأذانكم . . .

وأنصتوا له بقلوبكم . . .

لعلكم تُرحمون . . . تسري إليكم رحمتي
المكنونة في كلامي . . .

وما لم تنصت إلى كلام الله بقلبك . . .

فإنه لا خير كثير في الإستماع بأذنك . . .

لأن الله يخاطب القلوب . . .

لأنها منك . . . هي الرعاء الصالح . . . لتنزل

كلام الله عليه . . .

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ .

﴿ عَلَى قَلْبِكَ . . . ﴾

لأن كلام الله . . . روح . . .

والروح . . . تتجلى على القلب . . .

وكلام الله . . . نور . . .

والنور . . . يسري إلى القلب . . .

ومن القلب . . . يتوزع على سائر الجسد !!!

وكلام الله . . . رحمة . . .

والرحمة . . . تنزل على القلب . . .

كل أركك كان مكنونا فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ .

﴿ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ . ﴾

قلب . . . ينصت لكلامى . . . ويتلقى

تجلياتى . . .

وسمعُ حاضر . . . يسمع كلامى . . . لينقله إلى

القلب . . .

فيتوجه وجه القلب . . . إليّ . . .

فأفيض عليه . . . ما أشاء . . . من رحمتى . . .

وعطائى . . . وشفائى !!!

مشكلة .. الإنسان .. الكبرى ..؟!!

ليست ...

مشكلة الإنسان في التوجه إلى الله ...

ولكن في التعامل مع الناس ...

وفي تحديد دقيق ...

ليست مشكلة الإنسان ... تنحصر في

« الإنسان ... والله » ...

ولكن في « الإنسان ... والناس » !!!

أو ليست مشكلتي هي « أنا ... والله » ...

ولكن « أنا ... والناس » ...

لماذا؟!!

لسبب بسيط . . . ان الله واسع . . . يسع الخلق
أجمعين . . .

فلو اتجه كل الناس . . . في وقت واحد . . . إلى
الله . . . لوسعهم سبحانه . . . وما قام بينهم صراع ولا
ضغن ولا أحقاد . . .

حيث لا موجب لصراعهم . . . فإن رحمة
الله . . . تسعهم جميعا . . . بلا تضغط وبلا
تنافس . . . وبلا تقاتل !!!

وإنما مشكلة الإنسان . . . هي في « الإنسان . . .
والناس » . . .

وهو ما يسمى بالأخلاق . . .

وهي نسبتك الصحيحة . . . بين الناس . . .

وموقفك الصحيح . . . بين ملايين البشر . . .

ها هنا المشكلة . . . وها هنا القصة كلها . . . وها
هنا الإختبار الصحيح . . . وها هنا تتكشف
المعادن . . . ويتميز الناس . . .

ومصيبة الإنسان . . . أن له وجهان . . .

وجه . . . إلى الله . . .

ووجه . . . إلى الناس . . . أو إلى الخلق . . .

والوجه الذي إلى الله . . . لا يصعب على
الإنسان . . . أن يحققه . . .

فما عليه إلا أن يدير وجه قلبه إلى ربه . . .

فيجد الله فوراً . . . تواباً رجيئاً . . .

وإنما الصعوبة هو « أنت . . . والناس » . . .

كيف تقوم بينهم . . . ماذا تعطيهم وماذا تأخذ

منهم ؟ !

كيف تحتفظ بتوازنك بينهم . . . بحيث لا يمنعك

هذا من التوجه إلى الله ؟ !

بلغة زماننا . . . مشاغل الحياة التي تتدافع بنا

كالطوفان العارم . . .

كيف تحتفظ بتوازنك . . . في هذا الطوفان من

الحوادث . . . والناس ؟ !!

وحين أعظم الله الشاء على رسوله . . . صلى الله

عليه وسلم . . . إنما قال :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۖ ﴾ !!!

أي وإنك لعلی أعظم ما يكون الإنسان . . .
توازننا . . . واستقامة . . . بين الناس !!!

لأن الصعوبة هنا . . . في لتحقيق بالأخلاق
العظيمة . . . وليست الصعوبة في توجه إلى الله !!!
وقد تجد كثيراً من العابدين . . . ولكن لا تجد
كثيراً من المتحققين بالأخلاق التي رتضاها الله ورسوله
بين الناس . . .

لأن التفرغ للعبادة . . . والإهتزاز بالأذكار أمر
سهل ميسور . . .
وتلذذ جميل . . . بأنوار التوجه إلى الله . . .

ليس فيه مشقة العمل الصالح . . . ومتاعب
الجهاد . . . ومضايق إبلاغ كلمة الله . . . وتكاليف
القتال في سبيل الله . . .

ولذلك رفض الله . . . من الإنسان . . . أن يتفرغ
لعبادته وتسبيحه . . . ويقف عند ذلك . . .

لأن هذا أسلوب تتهرب إليه النفس الأمارة
بالسوء . . . لتهرب من تبعات الجهاد . . . واثقال حمل
مستولية الغير . . .

ودعا الإنسان . . . إلى مباشرة الحياة . . . باسم
الله . . . والصراع فيها على كلمة الله . . . ومقاتلة كل
من تصدى لنشر كلمة الله في الأرض . . .

والذين أوتوا الغباء من العابدين . . . يظنون أن
أداء الصلوات . . . والإكثار من التسابيح . . . هو نهاية
المطاف . . .

وهؤلاء أخذوا من الأمر أيسره . . .

وجبنوا عن مواجهة مشاق الصعود إلى الله . . .

وأوهموا أنفسهم أنهم على شيء . . .

وما هم على شيء . . . حتى يقيموا هذا الدين

كاملا . . .

ويحملوه باثقاله كلها . . .

وإني أوجهك إلى حادثة فذة . . . فيها إشارة

فريدة . . . عجيبة . . . إلى هذا المذاق . . . سجلها

الله تعالى . . . وانزلها إلينا في كتابه . . . لنفهم أن
المهم عند الله . . . ليس أن تتوجه إليه . . . وإنما أن
تؤدي ما عليك نحو الناس . . .

وأن أداء حق الناس . . . يرفعك عند الله أكثر من
العبادة والتسبيح . . .

لأن العبادة يندر أن تخلص من الأنانية . . .

فأنت قد تعبد الله . . . لأنك أناني . . . تريد أن
تنجو بنفسك من العذاب . . . وتحقق لنفسك نعيما
أبديا . . . ولا عليك بعد ذلك هلك الناس أم نجوا !!!

وهذه دقيقة من دقائق العبادات . . . يندر أن
يتفطن إليها العابدون !!!

أما الذي يخالق الناس بخُلق حسن . . . ويؤدي
إليهم حقوقهم . . . ويؤثرهم على نفسه . . . فهو
شخص خُلف من الأنانية . . . لأنه آثر الغير على
نفسه . . .

فهو أرقى من العابد !!!

ونعود إلى الحادثة الفذة . . . فنقول قال سبحانه

فيها :

﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى .
﴿ قَالَ هُمْ أَوْلَاءِ عَلَيَّ أَتْرَبِي وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ
لِتَرْضَى . ﴾ !!!

النكته الفذة هنا . . . أو اللقطة الجميلة . . .

أن الله أراد أن يعلم الكليم عليه وعلى نبينا
السلام . . . علما تجريبيا عمليا . . . أن أداء حقوق
الناس . . . أهم عند الله . . . من المسارعة إلى التوجه
إليه . . .

وإن كان الإنسان دائما . . . يظن أن المسارعة إلى
التوجه إلى الله . . . أرضى الله . . . من أداء حقوق
الناس !!!

يسأله سبحانه . . . ليعلمه . . . ويعلم الناس من
بعده :

﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى ؟

لماذا تعجلت لقائي . . . وتركت قومك . . . يا
موسى ؟

وفي التعبير بـ « أَعْجَلَكَ » إشارة إلى أن ما كان من

موسى صدر عن تعجل !!!

فماذا قال الكلیم :

﴿ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَيَّ أَتَى .

﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى . ﴾ !!!

إن الكلیم . . . يبرر العجلة التي كانت منه . . .

والعقدة الخطيرة ها هنا . . .

لِتَرْضَى ؟ !!

إبتغاء رضاك !!!

وها هنا يتعلم كل مؤمن ومؤمنة . . . كما تعلم

الكلیم !!!

ولننظر كيف كان التعليم . . . للكلیم ؟ !!

كان درساً بليغاً . . . علّم موسى . . . ما لم يكن

يعلم !!!

﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ

السَّامِرِيُّ . ﴾ !!!

تأمل جمال التربية الإلهية . . .

موسى . . . يعجل إلى ربه . . . ليرضى ربه !!!
فهل قبل سبحانه منه ما فعل . . . وما فعل إلا
التقرب إليه ؟ !

إنما رده إلى قومه . . . لينظر ماذا فعلوا ؟ !
إشارة لكل الناس . . . وللعابدين منهم بوجه
خاص . . . أن قيام الإنسان بحقوق الناس . . . يقربه
إلى الله . . . أكثر مما يقربه التفرغ للتوجه إلى الله !!!

﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا . . . ﴾
تأمل . . . ذهب موسى . . . إلى ربه . . . ليظفر
برضاه . . . ويتلذذ بنجواه . . .

فَرَجَعَ . . . غَضْبَانَ أَسِفًا ؟ !!
قد ملء غضبا . . . وملء حُزنا . . .

رجع نائرا أشد الثورة . . .

حزينا . . . أشد الحزن !!!

تربية عميقة عمقا لا يتناهى . . .

تربية من الله . . . وهو خير رب . . .

لكليم الله . . . وهو خير من يتربى !!!
كأنه يراد أن يقال : ليس المهم عندي . . . أن
تتقرب إلي . . . وإنما المهم أن تقوم بالحق في أولئك
الذين بعثتك فيهم !!!

إرجع إليهم . . . وانظر ماذا فعلوا ؟ !
﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمَ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورًا .
﴿ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ . ﴾
لقد عبد أكثرهم العجل !!!

إن إصلاح هؤلاء . . . أولى من تركهم والتفرغ
للعادة !!!

﴿ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا
مُوسَىٰ . ﴾ !!!

تأمل . . . إنهم مصررون على عبادة العجل !!!
وثار موسى ثورة . . . الأنبياء . . . إذا اعتدى على
حقوق الله . . .

﴿ . . . وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ
إِلَيْهِ . . . ﴾ !!!

إنها الثورة الكبرى ...

أن الكليم هنا ... يثور لله ...

واستغائه أخوه ولا فائدة !!!

﴿ قَالَ يَا آبْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا

بِرَأْسِي ... ﴾ !!!

منظر رهيب !!!

موسى ... يجرُّ هارون ... من شعر رأسه ...

وشعر لحيته !!!

وَمَنْ موسى ؟ !

وَمَنْ هارون ؟ !

هذا كليم الله ... وهذا نبي الله !!!

وجعل موسى ... يعالج الفتنة بمنتهى الحزم

والعزم والشدة !!!

﴿ ... وَانظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا

لنُحْرَقْنَهُ ثُمَّ لَتَنَسِفَنَّ فِي الْيَمِّ نَسْفًا . ﴾ !!!

نسف تام ... لذلك الإله الباطل ... أمام

أعينهم . . . ليعلموا أنهم كانوا بهائم إذ عبدوا عجلاً !!!

ثم أعلن موسى . . . الحقيقة العظمى . . . على

كل الشعب . . .

﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ

شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ . . . !!!

وكانت تربية من الله . . .

تربى عليها كل من الله . . .

فازداد بها علما من الله . . .

وكانت إشارة خالدة . . . للمؤمنين

والمؤمنات . . . والعبادين والعبادات . . . أن أعظم ما

في كل دين أنزله الله . . . هو قيام الحق في الناس . . .

وأن أعظم القربات إلى الله . . .

أن تخالق الناس بخلق حسن . . .

وأن تُحقّق الأخلاق التي يرضاها الله ورسوله . . .

وليس هذا تهوينا من شأن العبادات والتسابيح . . .

حاشا وكلا . . . وإنما تنبيهها للغافلين . . . أن

يتوازنوا . . . في سلوكهم . . .
وأن يعلموا . . . أن الخُلُق الحسن . . . هو معيار
الصدق من المؤمن . . .
وليس طول الصلاة . . . وطول القيام . . .
ما لم يتبعه . . . التطبيق . . . في الناس !!!
فإن قال قائلهم : هذه الحادثة ليست نصًّا في ذلك
المذاق . . .

قلنا . . . إليكم حادثة أخرى . . . من الذوق
الإسلامي . . . تعتبر نصًّا . . . قاطعا مانعاً . . . في
الأمر . . .
تلك هي الواقعة المشهورة . . . بين العملاقين
العظيمين . . . بين الشيخين الأكبرين . . . بين الصديق
والفاروق . . . بين أبي بكر وعمر . . . رضي الله
عنهما !!!

كان عمر . . . يرى ألاّ يقاتل قوما . . . شهدوا أن
لا إله إلا الله . . . وأن محمداً رسول الله . . .
ولكن عملاق الحقيقة . . . أبا بكر . . . كان يرى

أن يقاتل من منع الزكاة . . . وإن شهد وإن صَلَّى . . .
لماذا ؟ !

لأن شهادة أن لا إله إلا الله . . . وأن محمداً رسول
الله . . . وإقام الصلاة . . .

وهو جانب التوجه إلى الله . . . الجانب الذي بين
الله . . . والإنسان . . .

هذا الجانب سهل . . . ويمكن أن يؤديه كل
إنسان . . .

ثم يتفكك من التزاماته نحو الناس . . . فلا يدفع
زكاة تجب عليه . . . ولا يحمل إثم التكليف !!!

ورفض عملاق الحقيقة . . . أبو بكر . . .

وزأر زئيره . . . الهدّار الجبّار . . . الفوّار . . .
الثوّار !!!

وثارت ثورته الكبرى . . .

ودخل حروب الردّة . . . وسرّ بنفسه احد عشر
جيشاً لمقاتلتهم . . . فإما أدوا الزكاة . . .

وإما قاتلهم وأبادهم !!!
فكان في هذا نصا قاطعا مانعا ...
وإشارة جبارة ... ما زالت تدوي ... في آفاق
الوجود ...
أن أعظم ما في هذا الإسلام ... هو تحقيق
جانب « الإنسان ... والناس » ...
هو أداء حق الناس عليك ...
هو تحقيق الأخلاق العظيمة ... التي يحبها الله
ورسوله ...
هو أن تكون للغير ... لا لنفسك ...
هو أن تحطم الأنانية من تركيبك ...
وأن ذلك كله ... هو أعظم ما يقربك إلى
ربك ...
بل هو يسرع بك إلى الله ... أسرع مما تسرع
بك الصلوات والتسبيحات ...
وانظر ... كم ارتفع الصديق ... عند الله ...
بفعلته التي فعل ؟ !!!

هذه الإنتفاضة ...

هذه الثورة الكبرى ... من أجل حقوق
الناس ...

حقوق الفقراء في أموال الأغنياء ...

هذه الحرب التي أعلنها ... على أولئك
جميعا ...

إنما رفعته عند الله ... رفعة ... ما كان ليصل
إليها الصديق ... بصلاة ولا بتسبيح !!!
وشتان ثم شتان ...

بين رجل يعمل لنفسه ... فيتعبد ... طلبا للفوز
لنفسه ... ويقف عند ذلك ...

وبين رجل ... هو فوق ذلك ... يعمل
للغير ... ويبذل نفسه تحقيقا للخير العام !!!
الأول تركيب ... فيه أنانية ...

والثاني ... تركيب إجتاز مرتبة الأنانية ...
وارتفع إلى مرتبة الإيثار !!!

أوتوماتيك . . جزاء . . ؟!

الذين . . .

أوتوا الذكاء يعلمون . . .

والذين أوتوا الغباء لا يعلمون !!!

أولئك الأذكياء يعلمون من الله . . . ما لا يعلم

هؤلاء الأغبياء !!!

والعلم بالله . . . أعلى أعالي العلوم !!!

الذين أوتوا العلم بالله . . . يدركون أن الظن

بالله . . . سر الأمر كله . . . وسر السعادة . . . وسر

الشقاء !!!

فمن ظنّ بالله خيراً . . . فقد أوتى الخير كله . . .

ومن ظنّ بالله سوءاً . . . فقد أوتى الشقاء كله !!!

والذين أوتوا العلم يسمعون وليهم ومولاهم

يقول

﴿ أنا عند ظنّ عبدي بي ﴾ !!!

فيذوقون من قول وليهم ومولاهم . . . أن هذا هو
سر الأمر كله . . . وسر السعادة . . . وسر الشقاء !!!
طوبى لمن أحسن الظن بالله . . . ثم طوبى
لهم . . .

وويل لمن أساء الظن بالله . . . ثم ويل لهم !!!
وهذه هي القضية الأعظم . . . نستأذن مولانا
ووليننا . . . أن نُدندن من حولها . . . بإذنه وتوفيقه
فنقول :

ما هو الظن بالله ؟ !

وما هو الظن الحسن ؟ !

وما هو الظن السيء ؟ !

الظن بالله . . . هو تصورك لربك . . . هو مدى

علمك بالله . . .

والظن الحسن . . . أن تظن به سبحانه . . .

الكمال المطلق . . .

والظن السيء . . . أن تظن به سبحانه . . . ما
ينافي الكمال المطلق !!!

ويتفاوت ظن الناس . . . بالله . . . بتفاوت
علمهم بالله . . . صعودا . . . أو نزولا . . .

ففي أعلى أعالي الظن بالله . . . حيث يستوي
النبيون والمرسلون . . .

يظن هؤلاء الأعلون . . . بالله . . . أحسن
الظن . . .

وإنه عندهم . . . المثل الأعلى . . . دائما . . .

ومن دونهم الصديقون . . .

ومن دونهم الشهداء . . .

ومن دونهم الصالحون . . .

فإذا جئت الناس . . . نزولا ووجدتهم يسيئون الظن

بالله . . . كلما اتجهت معهم إلى أسفل . . . كان ظنهم
أسوأ . . .

حتى تصل إلى مراتب أسفل سافلين . . .

فتجد منهم أسوأ الظن !!!

تلكم هي القضية في عمومها ...
فما آثارها على الظان ؟ !!
آثارها ... أوتوماتيك ... جزاء ...
من ظن بالله خيرا ... وحد الخير فورا ...
ومن ظن بالله سوءاً ... وجد السوء فورا ...
فهو ناموس تلقائي ...
يعكس عليك فورا ... ما تظن بربك !!!
أما الظن الحسن بالله ... فإن تظن به كل كمال
يليق به سبحانه ...
فتظن ... أنه سبحانه ... غافر الذنب ...
وقابل التوب ...
فإذا استغفرته ... وأنت تظن ألا غافر سواه ...
ولا قابل للتوب إلا إياه ... غفر لك على ما كان
منك !!!
وأن تظن أنه ... قادر ... قدير ...
مقتدر ... على كل شيء قدير ...

فإذا دعوته . . . وأنت تظن به . . . القدرة
المطلقة . . . استجاب لك . . . بحسن ظنك به . . .
وأن تظن أنه حق . . . وأن كتابه حق . . . وأن نبيه
حق . . . وأن الجنة والنار حق . . . فإذا جئته بذلك
الظن الحسن . . . قل منك قليل العمل . . .
وباركه . . . وزادك من فضله العظيم . . .

وأن تظن أنه قائم قیوم السماوات والأرض ومن
فيهن . . . فإذا جئته بذلك الظن . . . لو كادك أهل
الأرض والسماوات جميعا . . . ما استطاعوا إليك
سبيلاً . . .

وأن تظن أن وعده حق . . . وأنه إذا قال لك . . .
إن الساعة آتية لا ريب فيها . . . ظننت فوراً . . . أن ما
قال هو الحق . . . وأنه واقع حتماً . . . إذا توجهت إليه
بذلك الظن . . . أورثك ذلك حُسن العمل . . . وحسن
السلوك في الحياة . . . تجد ذلك مكنونا في مثل قوله
صلى الله عليه وسلم :

﴿ . . . لو أحسنوا الظنَّ لأحسنوا العمل . . . ﴾ !!!

وأن تظن أن له سبحانه الأسماء الحسنى . . . فإذا

دعوته بها . . . استجاب لك كما ظننت به . . .
فإذا ظننت أن الله تعالى كريم . . . أكرمك . . .
وإذا ظننت أنه تعالى . . . عزيز . . . أعزك . . .
وإذا ظننت أنه تعالى . . . يجازي بالقليل
كثيراً . . . جازاك بالقليل منك . . . كثيراً منه . . .
وإذا ظننت أنه عفوٌ . . . عفا عنك . . .
وإذا ظننت . . . أنه رحيم . . . رحمك . . .
وإذا ظننت . . . أنه عليم . . . علّمك ما لم تكن
تعلم . . .
وإذا ظننت . . . أنه . . . قاهر قهار . . . فهدم
اعداءك . . .
وإذا ظننت . . . أنه لا يخلف الميعاد . . . وفى
لك ما وعدك . . .
وإذا ظننت أنه يستجيب من دعاه . . . استجاب
دعائك . . .
وإذا ظننت أنه غفور . . . غفر ذنبك . . .

وفي هذا السبيل سبيل النظر الحسن
... حذ مثلاً من كلامه سبحانه

﴿ وَظَنُوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ !!!

ها هنا ظن حسن بالله . . . ظنوا أن لا ملجأ من الله
إلا إليه

ذروة في المعرفة . . . وذروة في نعلم بالله
لَمَّا تَحَقَّقَ مِنْهُمْ دَنْكُ الظَّنِّ . . . تَابَ عَلَيْهِمْ
لِيَتُوبُوا . . .

وجاءتهم البشري . . . وجاءتهم النعمة . . .
وتتابع عليهم البركات . . . والعطايا . . .
والهدايا . . . يحسن ظنهم بالله !!!

ومثلاً آخر . . .
﴿ . . . وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ
أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ
هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ . . .

﴿ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ . . . ﴾ !!!

ها هنا ظن حسن بالله ... تحققوا الهلاك ...
فتحققوا أن لا مُنْجى لهم إلا الله ...
فصرخوا إليه ... وحده ... وقد انقشعت عنهم
حجب الأغيار ...

فنجّاهم ... واستجاب لهم !!!

وأخرى من الظن الحسن ... أبهج وأعلى !!!
﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا
جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ
الْمُجْرِمِينَ ﴾ !!!

ها هنا ... ظن بالله ... على أعلى مستوى من
الظن الحسن بالله ...

وما ظنك ... بظن الأنبياء ... كيف
يكون ؟ !!!

إنه أعلى درجات الظن الحسن بالله تعالى !!!

وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا !!!

ظنوا أن أممهم قد أجمعت على تكذيبهم ...

يأسوا تماما من الخلق ...

وحصروا الأمل في الله . . . وحده . . .
هنالك . . . فتح الله عليهم . . . بحار العطايا
والهدايا . . .
﴿ جَاءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾ !!!
نصرنا . . . نحن . . .
منا . . . نحن . . .
لا مدخل لأحد . . . من الخلق فيه . . .
فجأهم نصرنا !!!
ونعمت الفجاءة . . .
ونعمت العطايا !!!
﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴾ .
ذلك مثال . . . عن أحسن مستوى . . . من
الظن !!!
ظن النبيين . . . ظن الرسل . . . عليهم
السلام !!!
وأخرى صدح بها العارفون . . . فانهمرت عليهم
بركاتها انهماراً !!!

﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ كَمَا ظَنَنْتُمْ قَلِيلَةٌ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ !!!

هذا ظن العارفين . . . العالمين بالله . . . وأنه على كل شيء قدير . . . وأن النصر من عنده هو !!!
فماذا كان العطاء !!؟

﴿ فَهَزْمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ !!!

أوتوماتيك جزاء . . .

أوتوماتيك عطاء . . .

هل جزاء الإحسان إلا الإحسان !؟

أحسنوا الظن بالله . . . فأحسن إليهم !!!

هذه أمثلة . . . من الظن الحسن . . .

فهل من أمثلة . . . من الظن السيء !!؟

الأمثلة هنا كثير . . . يرجع ذلك إلى أن كثيراً

يسيئون الظن بالله . . . وهم يعلمون أو لا يعلمون . . .

ولا يبرأ لك توحيدك . . . حتى يخلص من أي

إثارة من إساءة الظن بالله !!!

فإن إساءة الظن بالله ... والإيمان ضدان لا
يجتمعان ...
المثال الأول ... ناموس يؤكد أن إساءة الظن بالله ...
مهلكة لصاحبها ... مهلكة للأمم ... مهما كان في
يدها من طاقات ...
واسمع في هذا المثال إلى مثل قوله سبحانه :

﴿ وَبُعِذَ الْمُنافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ
وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوِّءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوِّءِ
وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ
مَصِيرًا . ﴾ !!!

ويل لهم ... ثم ويل لهم !!!
من هم أولاء ؟ !!

هم الظَّانِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوِّءِ !!!

ومن هم أولاء ؟ !

هم ... المنافقين والمنافقات والمشركين
والمشركات !!!

أنظر ... إن ظن السوء ... صنو ... النفاق
والإشراك !!!

ماذا ينتظرهم !!؟

لأولى وَيُعَذِّبُ هده هي المصيبة
لأولى من صر السوء بالله ... هو غير
عذاب يوقعك في عذاب لا ينسى !!!

لثانية ... عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ !!؟

حتمًا تدور عليهم دائرة العقاب ... اسوأ
عقاب في الدنيا ... والآخرة !!!

وما ظنك بمن أساء الظن بالله العظيم ... وم
ينتظره جزاء جريمته !!؟
ومن هو هذا لكائن ... وما يكون ... حتى
يسيء الظن بالله العظيم !!؟

الثالثة ... وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ... هده هي
المصيبة الثالثة ... وويل ثم ويل لمن غضبته
عليه !!!

الرابعة ... وَلَعَنَهُمْ ... وبعدهم بعد
سحيفاً ...

الخامسة ... وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ !!!

السادسة . . . وَسَاءَتْ مَصِيرًا !!!

أسوأ مصير . . . جزاء أسوأ الظن !!!

أوتوماتيك جزاء !!!

واسمع إلى الأخرى الآتية . . . وانظر ماذا فيها من

نواميس ؟ !!

﴿ . . . وَظَنَنْتُمْ ظَنَّنَ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا

بُورًا . . . ﴾ !!!

قوماً شراً . . . لا خير فيكم . . .

لماذا ؟ !!! . . . وَظَنَنْتُمْ ظَنَّنَ السَّوْءِ !!!

واسمع إلى الثالثة . . . التي تؤكد . . . ضياع

وهلاك وسقوط كل من ظن بالله ظن السوء . . .

فرداً . . . أو جماعة !!!

﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا

أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا

مِمَّا تَعْلَمُونَ .

﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ

فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ . . . ﴾ !!!

أنظر ها هنا مفتاح خطير . . .

إنهم يظنون ﴿ أَنْ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا
تَعْلَمُونَ ﴾ !!!

ينسبون إلى الله الغفلة . . . سبحانه عما
يظنون !!!

ويقولون في أنفسهم : أنى يحيط الله بكل صغيرة
وكبيرة مما يعمل العباد !!؟

وهذا ظن سيء . . . ونسبة ما ينال الكمال المطلق
إلى الله . . .

فماذا كانت النتيجة ؟!

وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَأَكُمْ . . .

أهلككم . . . فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ !!!

ظنهم السيء بربهم . . . أدى بهم إلى

الإجرام . . . ظناً منهم أن الله لا يعلم إجرامهم . . .

والإجرام . . . قادهم إلى الكفر والطغيان . . .

والكفر أهلكهم . . . وقذفهم إلى الجحيم . . .

﴿ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾ ... !!!

أوتوماتيك جزاء !!!

وأخرى ... أقرب إلى مفاهيمنا المدية ...

﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ

هَذِهِ أَبَدًا .

﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودِدْتُ إِلَى رَبِّي

لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِمَّا مُنْقَلَبًا . ﴾ !!!

ها هنا ... لطيفة خطيرة جداً !!!

إن المذكور ... ظنُّ بالله ظنِّين سيئين ...

الظن السيء الأول ... ما أظنُّ أن تبيد هذه

أبدًا ؟ !!!

بقوله تعالى ... وقوله الحق : كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا

فان ...

والمذكور يقول : ما أظنُّ أن تبيد هذه أبدًا !!!

أنه يكذب كلام الله ... وبيضاده ...

وهذا من أسوأ الظن !!!

والظن السيء الثاني ...

﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾ !!!

وهذا الظن أسوأ وأسوأ ... كذب هناك بفناء
الدنيا ... وفناء جنته ...

وكذب هنا بقيام الساعة !!!

يقول الله ... ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَّا رَيْبَ
فِيهَا ﴾ !!!

والمذكور يقول : وما أظن الساعة قائمة !!!

ظن المذكور ظنين سيئين بالله ...

فتحتم أن يعاقب جزاء ظنه السيء ...

العقاب الأول ... أن يُضرب في فتنته ... في
جنته ... التي حجبه عن الحقيقة ...

﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ ﴾ !!!

إهلاك تام ... لبساتينه ... رداً على ظنه ﴿ وَمَا
أُظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴾ !!!

فأبادها ... ليفهم ... وقد فهم فهم
الكلاب ... لا يفهمون إلا إذا أحسوا قرع العصا ...

﴿ وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ !!!

العقاب الثاني ... هناك ... في الآخرة ...

﴿ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ

مُتَّصِرًا ﴾ !!! .

فانظر ... وافهم ... جزاء الظن السيء

بالله !!!

ومثال آخر ... يدخل في دائرته كثير من

المعاصرين ... وما يثرثرون فيه ... من فلسفات

خاطئات ... نحو الله ... وتدييره للأكوان

والكائنات ... وما يوجهونه من اتهامات إلى نظام

الكائنات !!!

اسمع :

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا

بَاطِلًا ﴾ ... !!!

مُجْمَلٌ مُعْجَزٌ ... لكل أقاويل فلاسفة ومفكري

العالم الخاطئة نحو الحياة وفكرتها وغايتها ...

ومن أين تنبع أفكارهم الخاطئة :

﴿ ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ

النَّارِ ﴾

هذه الثرثرة الخاطئة ... الصادرة عن هؤلاء
جميعاً ... ظنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا !!!

يظنون بالله ظن السوء ...

يظنون أن فكرة الحياة ... وفكرة الكون ...
وأسلوب التدبير ... أسلوب غير مفهوم ... وليس له
غاية ... إلى آخر هذه السخافات !!!

وإن صدرت عن كبار كبار ... الفلاسفة
والمفكرين !!!

وظن آخر ... يقول به أمثال هؤلاء ...

أنه لا آخرة هناك ... وإنما هي هذه الحياة الدنيا
ليس إلا ... وعلى هذا لا فرق بين مؤمن وكافر ... أو
محسن ومسيء ... إنما هي مجرد أوهام قديمة !!!

ولذلك ترد الآية التي بعدها مباشرة على مثل هذه
الظنون السيئة بالله فتقول :

﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ
كَالْفُجَّارِ . . . !!؟

كلا . . . إنكم تظنون بالله ظن السوء . . .
حين تقولون . . . أنه لا فرق بين مؤمن يعمل
الصالحات وبين المفسد في الأرض . . .
وحين تقولون . . . أن نجعل المتقين
كالفجار . . .

كلا . . . ليس الذين آمنوا . . . كالمفسدين . . .
ولن نجعل المتقين كالفجار . . .
ذلكم ظنكم السيء بربكم . . .
لأن الله حَكَمَ عَدْلَ حَق . . .
مقتضى عدله . . . ألا يسوي بين هؤلاء
وهؤلاء !!!

تلك أمثلة . . . من الظن السيء . . .
قليل من كثير . . .
تكشف لنا عن شؤم الظن السيء بالله . . . على
صاحبه . . .

وشؤم ذلك على الأمم
وأن الظن السيء له عقاب حتمي
أوتوماتيكي
والعكس صحيح كما سبق أن رأيت
الظن الحسن بالله . . . له ثواب ونعيم . . . حتمي
أوتوماتيكي
فظوبى . . . لمن أحسن الظن بالله
وويل . . . لمن أساء الظن بالله
فعليك أن تبادر . . . إلى تطهير توحيدك
من أي شائبة . . . قريبة أو بعيدة . . . من إساءة
الظن بالله
وعليك أن تحسن الظن بربك
وأن تظن دائماً . . . أنه سبحانه له الأسماء
الحسنى . . . وله الصفات العليا . . . وله الكمال
المطلق في صفاته . . . وشئونه . . . وأفعاله
وأنه ما من ذرة . . . كانت أو تكون . . . تسكن أو

نتحرك ... إلا بقَدْر وتقدير ... وحكمة ولحكمة
بريدها القدير ...

وإنما الذين يظنون بالله الظنون ... لا
يعلمون !!!

سرّ .. الهاء .. ؟!

أمرها عجب !!!

وسرها أعجب !!!

أنا ... تُضَمُّ ... فتشير ... إلى أعلى
شيء ... وأشرف شيء ... إلى مَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ
شَيْءٌ !!!

وأنا ... تُكْسَرُ ... فتشير ... إلى كل
شيء ... إلى كل الخلق !!!

وأنا ... تُفْتَحُ ... فتشير ... إلى نداء
الخلق !!!

ما هذا الذي نقول ؟!

ومن أين لنا ما نقول ؟!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ... نُفَجِّرُ بِحَارَهَا
تفجيراً ...

مِنْ أَعْظَمِ آيِ الْقُرْآنِ ...
مِنْ آيَةِ الْكُرْسِيِّ ...

فاسمع معي :

« اللَّهُ ... » ... هَا هُنَا ... الهاء
مضمومة ... هُوَ ... تشير إلى الألوهية ... إلى
الله !!!

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ... ﴾ ... هُوَ ... إشارة إلى
الهوية ... التي لا يدركها الخلق !!!

﴿ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ... ﴾
تأخذه ... هُوَ ... إشارة إلى الهوية ...

﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ... ﴾
لَهُ ... هُوَ ... إشارة إلى الهوية ...

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ ... ﴾ هُوَ ... إشارة
إلى الهوية !!؟

﴿ إِلَّا بِإِذْنِهِ ... ﴾ هي ... هَا هُنَا كُسِرَتْ ...

خُفِضَتْ ... إشارة إلى تجلي الإذن في الخلق ...
﴿ يَعْلمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ
بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ ... ﴾ هي ... ها هنا كُسِرَتْ ...
إشارة إلى تجلي علمه في الخلق ... وظهوره فيهم !!!
﴿ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ... ﴾ هو ... إشارة
إلى الهوية !!!

﴿ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا يُوَدُّهُ ... ﴾ هو ...
إشارة إلى الهوية !!!
﴿ حِفْظُهُمَا هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ . ﴾ وهو ...
إشارة إلى الهوية !!!
هل رأيت !!!

حين رُفِعَتْ ... أشارت إليه سبحانه !!!
وحين كُسِرَتْ ... أشارت إلى التجلي في
الخلق !!!؟

فهل من مثال ... إذا فُتِحَتْ !!!؟

تجد المِثَالَ في قوله :

﴿ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا ... ﴾

فناداها . . . إشارة إلى العظيمة . . . التي سمع

مريم !!!

ها ؟!!

أشارت إلى تجلي العظمة في مريم . . .

مما جعلها أهلاً . . . لأن تُنادى « لا تُحزني » !!!

يا للهاء !!!

لقد ذهبت بالأسرار !!!

سرّ .. المسيح ..؟!!

المسيح؟!!

ذلك اللغز المحير!!!

ذلك الذي كان مولده آية ... وحياته آية ...
ومماته آية ... ومعجزاته آية!!!

ما سرّه ... وما حقيقته؟!!

كان الوقت قبيل نداء الفجر ... وقمت من
نومي ... على ذلك الخاطر الخطير ...

أن المسيح ... مثال في الدنيا ... لخلق
الإنسان في الحياة الآخرة!!!

وجعلت أقلب ذلك الخاطر ... وأعرض عليه

حياة المسيح كلها ... فوجدته يفسرها تفسيراً
عجيباً !!!

ويحل ضلالم حياته حلاً بسيطاً !!!

فما معنى ذلك كله ؟!

لننظر أولاً : كيف الحياة في الجنة ؟!

قال العارفون : الإنسان في الدنيا تطوى روحه في

بدنه ، فيظهر البدن ويغلب على الروح .

وفي الآخرة العكس ، يُطوى بدنه في روحه ،

فتظهر الروح ويُطوى البدن !!

فالإنسان في الدنيا ... محكوم بنواميس البدن

المادية ...

أي أن روحه خاضعة لنواميس الجسد ...

أما في الآخرة ... فيعيش على قوانين

الروح ... لأن الروح مسيطرة ...

فالإنسان في الدنيا مقيد ...

وفي الآخرة مطلق ... يفعل ما يشاء ... ويتنقل

كيف يشاء ... ويُنشئ من الأمور ما يشاء ...

لأن هذه طبيعة صفات الروح . . .

أما في الدنيا . . . فلغلبة الجسد . . . فإنه يعيش
على قوانين المادة . . . يحكمه الزمان والمكان . . .
وكل قوانين المادة . . .

والإنسان ها هنا . . . لا يستطيع أن يتصور
حياة . . . إلا على قوانين هذه الحياة الدنيا . . . فإذا قيل
له أن هناك حياة أخرى تقوم على قوانين أخرى . . . غير
قانون الجسد . . . حياة تقوم على قوانين الروح
المطلقة . . . استبعد ذلك وذهب إلى تكذيبه . . . لأن
العقل لا يتصور إلا هذه الحياة بأبعادها وقوانينها
المعلومة !!

فالإنسان في الآخرة . . . ونعني الإنسان الصالح
الذي يدخل الجنة . . . ينعم بالخلود . . .

والخلود قانون من قوانين الروح . . . حيث لا
زمان !!!

ولا يستطيع الإنسان أن يتصور حياة . . . لا زمان
فيها !!!

ولذلك كان الحديث فذاً حين قال :

﴿ أعددتُ لعبادي الصالحين ، ما لا عين رأت ،
ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ﴾ !!!

لعلمه تعالى ... عجز الإنسان عن تصور
حياة ... غير الحياة الدنيا التي تقوم على قوانين
المادة !!!

فمن صفات الروح ... الخلود ... لأنها لا
تَبلى !!!

أما هنا فالجسد من صفاته الفناء ... ذلك قانون
المادة !!!

ومن صفات الروح ... أنها تستطيع أن تظهر في
أكثر من جسد في وقت واحد ...

أما الجسد فمن صفاته المحدودية ... فلا
يستطيع أن يكون الجسد جسدين أو أكثر !!!

ومن صفات الروح ... أن المكان لا يقيدتها ...
فهي تتحرك حيث شاءت ...

ومن صفاتها ... أنها لا تستطيع الإنشاء إذا
فكرت في شيء كان كما شاءت ...

﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا ﴾

وليس للجسد صفة من هذه الصفات

فقد تقضي عمرك كله تفكر في شيء وتتمنى تحقيقه فلا تستطيع له تحقيقاً في الدنيا

فأراد الله تعالى أن يعطي مثلاً عملياً للناس على أن ما يعدهم به في الحياة الآخرة حقيقة وإن استبعدتها عقولهم !!!

فكانت فكرة المسيح

رُوح فيها كل صفات الروح تظهر في جسد إلا أن الغلبة في تركيبه للروح

فحياته من أولها إلى آخرها تنتمي إلى صفات الروح لا إلى صفات الجسد

وهو نفس القانون الذي سوف يكون عليه الإنسان في الحياة الآخرة

أراد الله أن يجعل المسيح مثلاً عملياً لحياة الإنسان في الآخرة لحياة أهل الجنة والناموس الذي يعيشون عليه ناموس الروح

وسيطرتها على الجسد . . . لا سيطرة الجسد على الروح
كما هو الشأن في حياة الدنيا . . .

وبدأت القصة . . . قصة عرض مثال لحياة إنسان
في الآخرة . . . على الناس لعلهم يفهمون ما يقال على
لسان رسلهم عن الحياة الآخرة !!!

ونُفخت هذه الروح . . . التي هي موضوع
التجربة . . . في مريم !!!

﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا
فِيهِ مِنْ رُوحِنَا . . . ﴾ !!!

نُفخت هذه الروح في مريم . . .
فكان الحمل بعيسى !!!

لم يكن الأمر عن طريق جماع ذكر وأنثى . . .
كلا . . . وإنما رأساً . . .

إنها روح اختيرت لتكون مثلاً لموضوع جديد !!!

﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا
وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ . . . ﴾ !!!

نريد أن تكون هذه التجربة آية . . . لكل
الناس . . .

ليدركوا منها : كيف الحياة الآخرة . . . وما هي
خصائص الروح . . . وما هي نواميسها !!؟
ولما كانت هذه الروح . . . ستُلقي رأساً . . . إلى
مريم . . .

﴿ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ . . . ﴾ !!!

لزم . . . أن يكون . . . الروح الأمين . . . هو
الذي يقوم بالنفخ . . . لأن التجربة تجري بأسلوب
روحي . . . لا بأسلوب الجسد المادي . . . الذي يتم
فيه التناسل عن طريق الذكر والأنثى . . .

﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا
رَّكَيبًا ﴾ !!!

ولم تستطع مريم أن تفهم الأمر . . . فإن العقل لا
يفهم وجود طفل إلا عن طريق لقاء الذكر بالأنثى . . .
فكان ردها !؟

﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ
أَكُ بَغِيًّا ﴾ !!؟

منطق طبيعي . . . إنها تتحدث بلسان الناس

جميعاً . . . إنها التجربة الأولى من نوعها في العالم !!!

فماذا قال . . . الروح الأعظم . . . جبريل

الأمين ؟!

لقد كشف لها هدف الفكرة . . . والمراد من

التجربة !!!

﴿ . . . كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلْنَجْعَلَهُ آيَةً

لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ !!!

آية للناس ؟!!

هذا هو هدف التجربة !!!

أن يكون هذا الغلام تجربة جديدة . . .

لعلهم يقهمنون منها . . . ما هي صفات

الروح ؟ . . . وكيف حياة الآخرة ؟ . . . حين تكون

الغلبة فيها للروح على الجسد ؟!

وحملت فوراً . . .

﴿ فَحَمَلَتْهُ . . . ﴾ !!!

الفاء تفيد الفورية !!!

لا تقيد هنا . . . بقوانين الجسد . . . ها هنا

ناموس جديد !!!

﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ
النَّخْلَةِ ... ﴾ !!!
إن العذراء ... عليها السلام ... تعاني التجربة
الجديدة ... الأولى من نوعها في العالم ...
وحدها !!!

وتأوهت ...

﴿ يَا لَيْتَنِي مَتُّ قَبْلُ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا ﴾ !!!
وها هنا ... برزت صفة من صفات الروح ...
حيث لا سلطان للجسد عليها ...

صفة النطق بالحق ... كيف شاءت ... متى
شاءت ... ولا مدخل للجسد فيما تقول ...

لأن الروح كائن عاقل كامل مدرك للحقيقة في
صفائها الأول قبل التلوث بظلمات الجسد !!!

فماذا قالت الروح ... روح الطفل المولود
لساعته !!!

﴿ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ
تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ !!!

الروح تتكلم ... كلاماً محكماً تماماً ...
وهذا يشير إلى أن هذه صفة من صفات
الروح ... وهو الإدراك الكامل ... في غير ما حاجة
إلى أجهزة الجسد ...

فيعسى هنا ... مولود منذ لحظات ...
وفي قوانين الدنيا ... لا إدراك للمولود
لشيء ...

فالمتكلم هنا ... الروح ... وليس الطفل ...
ولعجزنا عن الإدراك ... تمثل الروح في صورة
الطفل ...

وكان أمراً عَجَباً !!!

وآية أولى من الطفل !!!

لعل الناس يفهمون ... أن الروح مدركة حياة
قائمة عالمة ... يغير جسدها الترابي ... وإن ظهرت
في الدنيا في صورة جسد مادي !!!

وقالت الروح ... لوالدها :

﴿ وَهَزِي إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا
جَنِيًّا ﴾ !!!

وعلى الفور . . . ما إن مسَّت مريم جذع النخلة
اليابسة . . . حتى اخضوضرت وتهدَّلت ثمارها . . .
وترطبت وصارت رطبا . . . جَنِيًّا . . . طازجا حلوا . . .
وجعل يساقط عليها !!!
ما هذا ؟ !!

هذه صفة من صفات الروح . . . أن الروح تفعل
ما تشاء . . . وتبني من الأشياء ما تريد . . . بمجرد
تفكيرها فيه . . .

لقد فكَّرت روح المسيح في هذه الفكرة ﴿ وَهَزِي
إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴾ . . .
فكان كل ما فكَّر فيه الروح . . . روح عيسى . . . كما
أراد . . . وكما شاء . . . حَدَثَ ووقع فورا !!!

لعلَّ الناس يفهمون هذه الصفة من صفات
الروح . . . وأنها لها ما تشاء في الجنة . . . فورا . . .
بمجرد رغبتهم فيه . . . ﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا ﴾ !!!
عكس ناموس الدنيا . . . ناموس الجسد . . .

ناموس المادة . . . فإنه محكوم مقيد بقوانين المادة
الكثيفة . . .

فلو شئتَ ما شئتَ في هذه الدنيا . . . ما تحقق
مما شئتَ شيئاً !!!

وكم ممن تمنى فما أدرك مما تمنى شيئاً !!!

أما في الآخرة . . . فإن لأهل الجنة فيها ما
يشاءون . . . حسبما شاءوا . . . لأن ذلك ناموس الروح
المطلقة !!!

وواصل الروح حديثه إلى والدته . . . الروح
الظاهرة في صورة طفل مولود منذ لحظة . . . ومن هذا
شأنه لا يستطيع كلاماً . . . ولا يعقل شيئاً . . . وهذا
يؤكد لك أن المتكلم . . . الروح . . . روح عيسى . . .
والروح تامة الإدراك . . . تامة الكمال . . . لا يقيدتها
صغر الجسد أو كبره !!!

﴿ فَكُلِّي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا .

﴿ فَأَمَّا تَرِينٌ مِّنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ
لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكُلَّمُ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾ !!!

هل يستطيع مولود منذ لحظة أن يقول هذا ؟ !!

وأنى له النطق . . . وأنى له الإدراك . . . وأنى له
أن يأمر بهذا التشريع السماوي ؟ !!

إن الروح . . . هي التي تتكلم !!!

وإنما لا نستطيع نحن أن نفهم هذا بعقولنا . . .
ونذهب من غبائنا إلى تكذيبه !!!

إن هناك تدبيراً إلهياً . . . لتفهم الناس شيئاً من
صفات الروح . . . حين تتخلص من سيطرة الجسد
عليها . . .
فماذا كان ؟ !!

﴿ فَآتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ
شَيْئاً فَرِيًّا .

﴿ يَا أُخْتُ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ
أُمُّكَ بَغِيًّا ﴾ !!!

تسارع العلماء والكهان الأغبياء إلى اتهامها . . .

ورشقوها بالسنن الثعابين !!!

أنى لهم إدراك التجربة . . . إنها جديدة عليهم

تماماً !!!

مستحيل . . . في منطق العقول . . . أن يكون
طفل بغير التقاء جنسي . . . أو أن ينطق ذلك
المولود . . . أو ينطق أن نطق كلاما ذا معنى !!!

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ . . . ﴾ !!!

في صمت تام . . . أشارت مريم إلى الغلام !!!
﴿ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ ؟ !!
أتستخفين بعقولنا يا مريم . . . كيف نتحدث مع
غلام مولود لساعته ؟ !

هنالك ظهرت صفة من صفات الروح جديدة . . .

أعلنها الروح العيسوي . . .

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ . . . ﴾

الحقيقة العظمى . . . من ذلك الروح . . . ومن
كل روح غيره . . . ومن كل شيء في الوجود . . . كان
أو يكون . . .

﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ؟ !! ﴾

نطق المولود بحقيقته . . .

أو إن شئت الحقيقة . . . نطقت الروح
بحقيقتها . . .

وهذا الذي أعلنه المولود . . . لو أذن لكل مولود
أن ينطق لأعلنه فوراً على الناس . . .

وإنما أنطق الله عيسى بها . . . ليكون إشارة إلى أن
هذه هي حقيقة كل إنسان . . . بل كل كائن ما كان !!!

هذه صفة الروح . . . أنها مفطورة . . . على
العبودية لله وحده . . .

وإنما يأتي بلاؤها . . . حين تنزل إلى
الجسد . . . فتخالط ظلماته . . . نور الروح . . .
فتفسدها . . . وتدفعها إلى ما يخالف ذلك !!!
ثم جعلت الروح تتحدث :

﴿ آتَانِي الْكِتَابَ وَجْعَلْنِي نَبِيًّا .

﴿ وَجْعَلْنِي مُبَارَكًا آمِنًا مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا .

﴿ وَبِرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا .

﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ

حَيًّا . ﴿ !!!

مجمل كامل متكامل . . . وملخص وافٍ
تماما . . . لحقيقته ونبوته وإنجيله . . . وأنه مبارك كثير
الخيرات أين ما كان . . . وأنه فرض عليه الصلاة والزكاة
ما دام حيا . . . وانه فرض عليه بر والدته . . . وأنه لم
يُجعل جبارا . . . يرغم أحدا على اتباعه . . . وإنما
بالحب والحب وحده . . . وأنه لا يكون شقيا أبدا . . .
لأن الجبروت والكبر ليس من صفاته . . . والسلام عليه
من الله يوم ولد . . . ويوم يموت . . . ويوم يبعث
حيا . . .

على نبينا . . . وعليه السلام !!!

السلام عليك يا أيها النبي الكريم !!!

﴿ ذَلِكْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ
يَمْتَرُونَ .

﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى
أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ . ﴾ !!!

حتى هنا . . . أعلن المولود . . . بعضا من
صفات الروح . . . ليفهم الناس . . . كيف تكون
حياتهم في الآخرة . . . حين يكون السلطان للروح على
الجسد . . .

ذلك أن عيسى . . . روح . . . نُفخت رأساً . . .
في مريم . . .

قام بنفخها . . . رُوحَنَا . . .

﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا . . . ﴾ !!!

فالشيء الذي هو موضوع التجربة . . . رُوح . . .
نفخها في مريم . . . رُوح . . . هو جبريل عليه
السلام . . .

وهذه الروح . . . تبشر وجودها . . .
وحياتها . . . وفعالها . . . على نواميس الروح . . . غير
مقيدة بقوانين الجسد . . . لأنها غالية عليه . . . مسيطرة
عليه . . .

وهو نفس الناموس . . . الذي يكون عليه الإنسان
في الآخرة . . . حيث السلطان سلطان الروح . . .

وتجد ذلك مكنونا في قوله :

﴿ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ . . . ﴾ !!!

ليس عيسى . . . مجرد كلمة « كُنْ فَيَكُونُ » . . .
وإنما في تركيبه إضافة جديدة هي « وَرُوحٌ مِّنْهُ » . . .

هذه هي الإضافة الجديدة . . .

نفخنا فيه نسبة أكثر من الروح ﴿ فنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ

رُوحِنَا ﴾ . . .

كائن من « كُنْ فَيَكُونُ » كأي كائن . . .

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ

تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ . . . !!!

إلا أن المراد من هذا الكائن . . . أن يكون تجربة

جديدة . . . يشهدها الناس جميعا . . . يفهمون

منها . . . كيف يكون خلقهم في الحياة الآخرة . . .

وكيف يكون السلطان للروح لا للجسد . . .

فلو انتهى الأمر . . . عند كُنْ فيكون . . . لخرج

المسيح ككل كائن السلطان فيه للجسد على الروح . . .

ولكن المطلوب أن يكون نموذجا جديدا . . .

الغلبة فيه للروح . . . فلا بد أن يضاف إلى تركيبه نسبة

أكثر من الروح . . . وهذا هو سر قوله بعد ﴿ وَكَلِمَتُهُ

أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾ . . . أن قال ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ . . . أي

زدناه نسبة من الروح أكثر . . . لتجلى فيه صفات

الروح . . . وخصائصها فتفهموا عنه . . . كيف تكون حياتكم هناك في الآخرة !!!

وانظر إلى قوله تعالى مبينا آثار تلك النسبة الزائدة من الروح في تركيب المسيح . . . وما ظهر منها من صفات الروح . . . في حياة المسيح . . . ومعجزاته كلها :

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ . . . ﴾ !!!
بِرُوحِ الْقُدُسِ ؟ !!

هذا هو الجديد في تركيب المسيح . . .
رُوح . . . بلغت نسبة عالية من التقديس . . . من السمو والعلو . . .
ليكون للروح السيطرة التامة على الجسد . . .
إنما المسيح . . . روح . . . تتكلم . . . وتفعل ما تشاء . . . لأن ذلك من صفات الروح حين تتخلص من قوانين الجسد . . . فلا تقيد لروحه بجسده . . .
وها هي بعض صفات الروح . . .

﴿ تَكَلَّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ... ﴾ !!!

معجزتان ... بالنسبة إلى نواميس الدنيا ...

ولكنهما أمران طبيعيان بالنسبة إلى الروح ...

تكلم المولود لساعته ... بكل حياته ... وكل

رسالته ... وكل ما يكون منه ...

لأن الروح لا يقيدها ... كونها في جسد طفل أو

شيخ ... إنها هي الغالبة ... تنطق بما تشاء ...

وَكَهْلًا ... وشابًا ... نيبًا ... تنطق

بالحق ... وتدعو إلينا ... وتتكلم بالوحي

والإنجيل ...

والوحي روح ... تنطق به الروح !!!

﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ

وَالْإِنْجِيلَ ﴾ !!!

لما في روحك القدس ... من استعداد لتلقي كل

هذا ...

﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأَيْدِي فَتَنْفُخُ فِيهَا

فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ... ❖ !!!

فتنفخ فيها؟!

تنفخ فيها الروح ... فتكوز طيرا ... يطير
ويتحرك !!!

وهذه صفة من صفات الروح في الجنة ...

إن الإنسان هناك ... يشكل من العوالم ما
شاء ...

فكانت هذه التجربة من المسيح ... بإذن من
الله ... ليفهم الناس ...

أن صفات الله ... فعالة ... تفعل ما يشاء
الله !!!

فأذن الله للمسيح ... أن يُشهد الناس شيئا ومثالا
من آثار الصفات !!!

❖ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ❖ !!!

الأكمه ... المولود أعمى ... لا أمل في
شفائه ...

والأبرص . . . داؤه مستحيل الشفاء . . .

كان المسيح . . . يشفي من جميع الأمراض . . .
كما يشاء . . .

وإنما نص على هذين الداءين . . . إشارة إلى أن
ما دونهما مما يرجى علاجه من باب أولى !!!

وبلغ الأمر . . . أن من مسَّ رداءه عليه السلام
يُشفى !!!

صفة من صفات الروح . . . إنها مؤثرة في
المادة . . . محولة لها إلى ما تشاء !!!
أذن الله له . . . أن يكون مجلى لصفات
الشفاء !!!

﴿ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي ﴾ !!!
كان ينادي الميت في قبره : قم يا فلان . . . فيقوم
ويتبعه !!!

هذه صفة من صفات الروح . . . أنها تُحيي
الموتى . . .

فإن أردت أن تفهم . . . فانظر : ما الذي يُحييك
في جسدك ؟ !

ما سر حياة جسدك ؟ !

إنه روحك . . هي التي تحيي جسدك !!!

فإذا انفصلت روحك . . عن جسدك . . بما
نسميه الموت . . تحول جسدك إلى جيفة لا حياة
بها !!!

فأذن الله . . أن تتحى في المسيح هذه
الصفة . . صفة احياء الموتى . .

ليفهموا أن الله قادر على أن يحيى الموتى !!!

فها هو عبد . . أذن الله له في ذلك . .
فاستطاع بؤذن له . . أن يحيى نموتى !!!

هذه نماذج من معجزات المسيح . .

ومنها ما أنت عنه . . على نبينا وعليه

السلام . . .

أنه كان يسير على الماء . . .

ويطير في الهواء . . .

وهذه صفة من صفات الروح . . . إذا خلصت من

قوانين الجسد . . . فإنها تتنقل حيث شاءت . . . لا
يقيدها زمان ولا مكان ولا قانون مادي . . .

وهذه صفة من صفات الحياة في الجنة . . .

فقد ثبت أنهم يسرون على الماء . . . ويطيرون
في السماء . . . حيث شاءوا . . . حيث لا شيء يقيد
الروح هناك !!!

فإذا ما جئنا إلى السن الذي توفي فيه المسيح . . .
نجد أنه هو سن ثلاث وثلاثين - على الراجع .

وهذا هو السن الذي يكون عليه أهل الجنة . . .
كما أشارت إليه النصوص !!!

وهذا برهان جديد . . . على أن المسيح . . .
مثال . . . لما تكون عليه حياة أهل الجنة !!!

فإذا ما جئنا إلى المسيح . . . نجد أنه لا خطيئة
له . . .

وقد أشار إلى ذلك حديث الشفاعة المشهور :

﴿ وَلَمْ يَذْكُرْ خَطِيئَةً ﴾ !!!

وأهل الجنة . . . لا خطيئة لهم في الجنة . . .

حيث لا نواميس هناك تدفع للخطيئة ...
شأنهم شأن الملائكة ... قائمون في التسبيح
والحمد !!!
ثم يكون أخطر شيء من ظواهر وفاته ...
أنه يُرفع إلى السماء ...
مخالفاً بذلك نواميس الناس ...
لأنه روح ... روح غالبية على قوانين المادة ...
فالمنزل الطبيعي له ... هو السماء ...
لأنه مركب التركيب الصالح ... لأن يُرفع إلى
السماء ... كما هو ...
دون ما حاجة ... إلى ترك جسده في
الأرض ...
حيث لم يكن لجسده أي سلطان على روحه ...
فحين يدخل إلى أهل السماء ... بتركيبه الذي
هو عليه ...
يكون منسجماً تماماً معهم ... لا غرابة في
وجوده بينهم ...

لأنه مثال كامل ... للإنسان في الحنة ...
وكيف يكون ...
فانتقاله إلى السماء ... منسجم تماما مع نواميس
أهلها وحياتهم !!!

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ
اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَأَنَّ الَّذِينَ
اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ
الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا . ﴾ !!!

إذا ما الذي حدث ؟ !!

﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا . ﴾

ويقول سبحانه :

﴿ وَمَكْرُؤًا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ .

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ هَذَا الصَّلَافُكُ وَرَافِعُكُ

إِلَيَّ ... ﴾ !!!

فكانت نهاية المسيح ... على نبينا وعليه

السلام ...

النهاية الطبيعية لتركيبه ... فحيث كان تركيبه أن

الروح هي الغالبة ... وليس للجسد أي سلطان ... أو
قدرة على تقييد الروح ...

فإن هذا التركيب ... هو تركيب أهل
السماء ... هل نجنة ...

فالموضع الطبيعي ... أن يغادر أهل الأرض ...
ندي هو شذو بينهم ... ويخالف ناموسهم ...

بنى أهل نجنة ... الذي هو مركب على
-موسمهم ... فمن الطبيعي أن يكون بينهم ...

فرفعه الله ... إلى السماء ... ليعيش
حياته ... بين من هم في مثل تركيبه ... وهو في مثل
تركيبهم !!!

فانظر ... وتأمل ... وتعجب ... إلى ذلك
السر العجيب ...

وكيف انبثق من ذلك الخاطر المبارك ...

أن المسيح ... مثال في الدنيا ... لخلق
الإنسان في الحياة الآخرة ...

والحمد لله ... لقد كان خاطرا مباركا ...

مَنْ اللهُ به... في وقت مبارك... وقت
الفجر...

فكان مفتاحاً جميلاً... حلّ لنا كثيراً مما نحار فيه
من أمر المسيح...
وسرّ المسيح!!!

فهرس

٧	مقدمة
٩	سرّ ... الفاء
٢٥	سرّ ... النون
٣٧	وما ... أمرنا ... إلا واحدة
٥٩	سرّ ... الرحمة
٧١	مشكلة ... الإنسان ... الكبرى
٨٧	أوتوماتيك ... جزاء
١٠٩	سرّ ... الهاء
١١٣	سرّ ... المسيح

أخطاء مطبعية

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	التصحيح
١٤	٤	ك ي	كل
٣٤	٢	أم جبل	كم جبل
٥١	١٢	القاموس	الناموس
٥٤	٣	الذواب	الدواب
٧٣	٦	رجيما	رحيما
٩١	٥	قل	قبل
٩٢	١٠	فهر	قهر
١٠٤	٦	وفكرة	وفكرة
١٢٦	٥	أش رت	أشارت
١٢٩	١٠	غالية	غالبة
١٣٨	١	الحنة	الجنة

**المكتبة العصرية
للطباعة والنشر**

تلغون : ٢٣٧٥٤٥ - ص ب : ٨٢٥٥

بيروت - لبنان